الفصل السادس

التصنيف
المفاهيم والمصطلحات
والتعريفات

تناولنا فى الفصل الثانى المفاهيم والمصطلحات الأساسة لمجال تنظيم المعرفة، وهو المجال الأعم الذى ينتمى إليه التصنيف. وقد تناولنا تطور استخدامات المصطلحات فى المجال على مدى يزيد عن مائة عام. وهذه المفاهيم فى الغاية من الأهمية حتى لايحدث ليس أو خلط عند تناول أو دراسة هذه المصطلحات، وحتى تكون هذه المفاهيم والدلالات واضحة لدى القارئ. ولعل ذلك أن يكون مساهمة متواضعة فى سبيل توحيد المصطلحات.

ونخصص هذا الفصل للمفاهيم والمصطلحات والتعريفات الأساسية فى التصنيف.

ونقصد بالمفاهيم والمصطلحات الأساسية، تلك المفاهيم المصطلحات التى تكوّن التراث الفكرى التصنيفى سواء فى ذلك التراث القديم أو التراث الحديث. والحقيقة أن قدرا كبيرا من الفكر التصنيفى الحديث ومصطلحاته مرتبطان أشد الارتباط بالتراث التصنيفى القديم، بما فى ذلك لفظ تصنيف نفسه، وذلك لأن المرحلة الأولى من مراحل التفكير فى التصنيف فى العصر الحديث استفادت من الأسس الفلسفية النظرية للتصنيف. هذه الأسس درسها التراث اليونانى القديم مرتبطة بقواعد التقسيم المنطقى، ثم تناولها التراث الإسلامى بشكل مفصل وقوى، ولعلها انتقلت إلى العصر الحديث عن طريق التراث الإسلامى. وسوف نجد أن كثيرا من مفاهيم التصنيف ومصطلحات موجودة فى التراث الإسلامى قبل ذلك بمدة طويلة.

وإن المصطلحات والأسس الفلسفة والنظرية للتصنيف قد درست فى العصر الحديث كجزء من النظرية التقليدية للتصنيف، وظلت تدرس زهاء مائة عام، ثم أخذت تختفى من الكتب الحديثة تدريجيا، حتى اختفت تماما من الكتب الحديثة. وهى تكون جزءا مهما فى الكتب القياسية للتصنيف مثل: ريتشاردسون، وسايرز، وبليس، وهذه هى المصادر الأصلية لدراستها. وقد نقل عن هذه الكتب الأصيلة عدد

لاحصر له من الكتب الأخرى، منها فيليبس، ومن أهمها شيرا وإيجان، وعدد كبير آخر من الكتب الحديثة. ثم جاءت مختصرة فى كتاب ملز، ثم اختفت تماما من الكتب الأحدث من أمثال د. ج فوسكت، وفيكرى، وراولى، أ. س. فوسكت، ومارسيلا، وغيرها من الكتب[1].

ونحب أن نستخلص هنا بعض الأمور:

١ ـ أن هذه الأجزاء من الفكر التصنيفى، وإن كانت قد اختفت من الكتب الحديثة إلا أنها موجودة فى المصادر الأسبق، ومعنى ذلك أنها متاحة لمن يريد دراستها من الأساتذة والمكتبيين والطلبة فى الغرب: فى بريطانيا وأمريكا، وغيرهما.

٢ ـ أن هذه الأجزاء مهمة جدا لدارس التصنيف، وخاصة هؤلاء الذى يريدون أن يتخصصوا فيه ويتابعوا دراستهم، فهى تكون إطارا فكريا مهما لاغَنى عنه لمن يريد أن يفهم التصنيف حق الفهم.

٣ ـ أن هذه الأجزاء فى الغاية من الأهمية لمن يريد أن يعد نظاما للتصنيف سواء كان عاما أو متخصصا، لأنها توفر الضابط لعملية التصنيف، وبدونها فمن المؤكد أنه سوف تحدث أخطاء وسوف يحدث تضارب. ولاشك أن الافتقار إلى دراستها من جانب هؤلاء الذين تصدوا لاعداد أعمال عربية فى التصنيف ـ هو المسئول عن كثير من الأخطاء التى وقع فيها هؤلاء، مع تقديرنا الكامل لجهودهم وما بذلوه.

وأرجو أن يوفقنا الله العلى الأعلى العليم الحكيم لدراسة تلك الأعمال وبخاصة التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى، حيث أنها تمثل الجانب الأكبر من تلك الأعمال، وأن نشير إلى بعض التضاربات التى نشأت بسبب عدم دراسة نظرية التصنيف بعامة، والأسس الفلسفية للتصنيف بخاصة، وذلك فى كتاب مستقل من كتب هذه السلسلة.

٤ ـ لذلك فإننا فى عمل شامل كهذا الذى بين أيدينا الآن نجد من واجبنا أن نتناول هذه المفاهيم والمصطلحات حتى تكون ركيزة للأجيال، وحتى تأخذ مكانها الطبيعى فى التراث التصنيفى العربى وفى المكتبة العربية، حتى لا يأتى

زمان يبحث عنها الناس فيه فلا يجدونها، فيلومون الجيل الذى أخذ على عاتقه توطئة أكناف العلم ـ علم المكتبات والمعلومات ـ للباحثين والدارسين.

٥ ـ أن هذا الجزء بصفة خاصة له علاقة وثيقة بالتصنيف عن المسلمين. والحقيقة أن ثمة نقطة فى الغاية من الأهمية بالنسبة لقضية المصطلحات فالكثير من المصطلحات ـ كما ذكرت منذ قليل ـ موجودة لدى المسلمين، وقد أخذت طريقها إلى الفكر التصنيفى الحديث نقلا عن المسلمين، ثم عادت إلينا كجزء من علم التصنيف الحديث. وإنصافا للتراث الإسلامى، وإنصافا لأنفسنا حتى ينصفنا الآخرون، لابد من الاشارة إلى هذا الجزء عند المسلمين، فليس من المعقول إن نأخذ فكرنا عن طريق غيرنا، وهو ما يحدث للأسف فى كثير من الأحيان. إذن يجب ألا نعتبر مفاهيم التصنيف عند المسلمين والموجودة الآن مقابلات لمصطلحات حديثة للتصنيف وإنما هى مصطلحات أصيلة عند المسلمين.

لكل هذه الأسباب سوف أدرس هذا الجزء، وسوف أبدأ مصطلحات ومفاهيم التصنيف عند المسلمين فى إشارة جامعة، ثم أتناول المصطلحات والمفاهيم الأساسية مشيرا عند الحاجة إلى المصطلح العربى الأصيل.

ومما يجب ذكره أننى فى كل الأحوال سوف أتناول المفاهيم والمصطلحات الأساسية فقط، وأشير إشارة سريعة إلى مصطلحات المدارس الأخرى. وذلك لأن إيراد المصطلحات كلها من شأنه أن يحتاج إلى قاموس مصطلحات. فهذه كثيرة جدا. وثمة كتاب أو أكثر فى السلسلة يتناول نظريات التصنيف ومدارسه ومنهج إعداد أنظمة التصنيف، وسوف يرد الكثير من المفاهيم والمصطلحات والتعريفات آنذاك، ولكن فى سياقها الصحيح، وذلك أيضا حيث لا يكون هناك تباعد بين المصطلحات والنظريات والمنهج.

مفاهيم التصنيف ومصطلحات عند المسلمين

إن موضوع التصنيف عند المسلمين يمكن تناوله من زوايا متعددة:

١ ـ نظم التصنيف التى ظهرت عند المسلمين إبان عصر الحضارة الإسلامية الزاهر.

٢ ـ نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة وترتيب العلوم، والاتجاهات الفكرية التى كانت موجودة فى المجتمع الإسلامى.

٣ ـ العلاقة بين التصنيف وكتب المنطق والتى كونت المصطلحات والمفاهيم الأساسية جزءا منها.

٤ ـ ما كتبه المسلمون من أفكار فى التصنيف ضمن الأفكار والمنهج التربوى عندهم.

٥ ـ العلاقة بين التصنيف وعلم الكلام أو علم التوحيد أو علم أصول الدين أو علم العقائد[٢].

٦ ـ العلاقة بين التصنيف والتعريف، وهى علاقة لم تكتشف حتى الآن اكتشافا كاملا ولم يكتب عنها بالشكل المناسب.

ولا أستطيع بطبيعة الحال أن أدرس هذه الجوانب الآن وإنما أشير فقط إلى أمرين:

١ ـ أننى قد درست بعض هذه الجوانب فى دراسات سابقة[٣].

ولست أزعم أننى قد استوفيت الدراسة أو أنها دراسة شاملة لأن الموضوع يحتاج إلى توفر كامل والرجوع إلى عدد لا حصر له من المصادر فى العلوم الإسلامية المختلفة، وفى كتب موضوعات العلوم وكتب التوحيد وعلم الكلام، إلخ.

٢ ـ أننى سوف أعود إلى دراسة هذه القضية من جوانبها المختلفة بقدر الامكان فى أكثر من مكان فى هذه السلسلة.

فى تاريخ التصنيف وتطوره

فى نظريات التصنيف ومدارسه

فى منهج إعداد نظم التصنيف

فى تنظيم الأقسام الرئيسية لخطة التصنيف العامة وهو ما أسميناه: نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة[٤].

ولست أزعم أننى فى كل هذا أستوفى الدراسة. وإنما هى خطوات وبدايات

وإشارات وتنبيهات، ولعل الله سبحانه وتعالى يقيض لهذه القضايا من الأجيال الجديدة من يتوفر على دراستها، بحيث يكتب هذا الجزء كتابة شاملة وافية. نحن نزرع بذورا فى التربة المكتبية العربية، لعل هذه التربة أن تكون صالحة ولعل البذور تنمو وتترعوع حتى تصير أشجارا باسقة يتفيؤ ظلالها الباحثون والعلماء على مر العصور.

ولنشرع الآن فى دراسة مفاهيم التصنيف ومصطلحاته عند المسلمين.

التصنيف فى معاجم اللغة العربية ودوائر المعارف العربية

عرف التراث الإسلامى لفظ التصنيف ومفهومه بصورة واضحة. وقد جاء ذلك فى سياقات متعددة. ونبدأ بالتصنيف لغة؛ أى التصنيف فى معاجم اللغة العربية.

ذكر الجوهرى فى الصحاح أن تصنيف الشئ: جعله أصنافا وتمييز بعضها عن بعض(٥). ومعنى التصنيف عند ابن منظور لايختلف عن معناه عند الجوهرى، فعنده أن التصنيف: تمييز الأشياء بعضها من بعض؛ وصنف الشئ: ميز بعضه من بعضه، وتصنيف الشئ: جلعه أصنافا(٦).

والمعنى نفسه نجده عند كل من الفيروزابادى(٧)، والزبيدى(٨).

كذلك نجد المعنى نفسه فى دوائر المعارف العربية، ومنها: دائرة معارف القرن العشرين(٩).

أما الصحاح فى اللغة والعلوم، فيعطى مزيدا من التفاصيل. فعنده أن: الصِّنف والصَّنف: النوع؛ والتصنيف لغة هو التنويع والتأليف. ومنه تصنيف الكتب (أى تأليفها)؛ واصطلاحا: تقسيم الأشياء أو المعانى وترتيبها فى نظام خاص وعلى أساس معين بحيث تبدو صلة بعضها ببعض، ومنه تصنيف الكائنات الحية وتصنيف العلوم(١٠).

كذلك استعمل التراث الإسلامى لفظ التصنيف بمعنى التأليف؛ واللفظ مستعمل بكثرة فى كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، تأليف أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة، وكذلك مشتقات اللفظ. فكثيرا ما يذكر عن المؤلف أنه. صنف كتابا فى كذا؛ ومن المصنفات... أى

المؤلفات، من ومصنفاته أى من مؤلفاته؛ ومن التصانيف، أى التأليف، إلخ، وسوف نعود إلى مفتاح السعادة بعد قليل، باعتباره قمة كتب موضوعات العلوم.

وقد عقد ابن خلدون فصلا فى مقدمته فى أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد(١١).

التصنيف فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

لايوجد لفظ التصنيف **فى القرآن**، ولكن القرآن الكريم استعمل مفهوم التصنيف أو معناه وليس اللفظ نفسه، كذلك استعملت السنة النبوية المطهرة اللفظ والمعنى.

ففى القرآن الكريم قول تعالى:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١٢).

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾(١٣).

وقد ذهب المفسرون إلى أن الزوج والأزواج هنا تعنى الصنف والأصناف(١٤).

وفى السنة النبوية المطهرة استخدم لفظ صنف، وصنفان، وأصناف. وقد راجعت فى ذلك: المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى، وهو عن الكتب الستة وعن مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، تحت مادة:

صنف جمع أصناف

ومن الأمثلة على الأحاديث:

صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب

صنفان من أهل النار لم أرهما

إذا اختلف الصنفان فلابأس

فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم

إنك إن بقيت سيقرأ القرآن ثلاثة أصناف، فصنف لله وصنف للجدال وصنف للدنيا

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، إلخ [١٥].

التصنيف فى كتب علوم الحديث

عند دراستى لكتب علوم الدين الإسلامى أثناء إعداد تصنيف لها[١٦]، تبين بوضوح أن العلماء المسلمين يعرفون التصنيف لفظا واصطلاحا وعملية، وأنهم قد صنفوا العلوم المختلفة تصانيف مفصلة إلى حد كبير جدا. وحتى لا نخرج فى هذا الفصل عن إطار المصطلحات والمفاهيم، فإننى أجتزئ ببعض الأمثلة.

فمثلا: عندما تناول السيوطى علوم الحديث ذكر أنها كثيرة لا تعد، وأنها مائة على ما قال الحازمى، وأن ابن الصلاح ذكر منها فى مقدمته ٦٥ نوعا، وقال ابن الصلاح: وليس بآخر الممكن فى ذلك فإنه قابل للتنويع إلى مالا يحصى[١٧].

ونلاحظ هنا استخدامه لكلمة تنويع، وهى تعنى تصنيف أو تقسيم، وهما يستخدمان فى التراث التصنيفى بمعنى واحد.

كذلك ذكر السيوطى وغيره[١٨] أصناف المرويات: وهى المصنفات من المسانيد والمعاجم وغيرها. كذلك استعملوا فى هذا السياق: أنواع المصنفات؛ وهى كما ذكرت سابقا: أنواع المؤلفات، ويهمنى فى الاستعمال الأخير لفظ أنواع، وهو لفظ تصنيفى جمع نوع.

التصنيف فى كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم

وقد أفردته بالمعالجة، لأن تناوله للموضوع تناول فريد، ثم إن كتاب مفتاح السعادة أبرز نماذج كتب موضوعات العلوم وأكملها.

لم يستخدم صاحب مفتاح السعادة لفظ التصنيف بالمعنى الحالى، وإنما استخدم مفهومه، وجعله أحد العلوم الثلاثمائة التى تشتمل عليها المعرفة عند المسلمين، أى

أنه رفعه إلى مرتبة العلم، واعترف به كدراسة مستقلة. وقد أسماه «علم تقاسيم العلوم». والتقاسيم جمع تقسيم، أى أن مفرده تقسيم العلوم. والتقسيم والتصنيف يستخدمان فى التراث التصنيفى ـ كما ذكرنا منذ قليل ـ بمعنى واحد. وربما كان ذلك لأن العملية الرئيسية فى التصنيف هى عملية التقسيم أو القسمة. وسوف تتضح هذه المسألة أكثر فى سياق هذا الفصل.

ويرجع كتاب مفتاح السعادة إلى عام ٩٤٨هـ = ١٥٤١م أى أن يمثل المعرفة عند المسلمين بعد أن اكتملت. وهو يقول عن علم تقاسيم العلوم:

«وهو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع ذلك الأعم. ولما كان أعم العلوم موضوعا العلم الإلهى جعل تقسيم العلوم من فروعه».

«ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ماذكر، لكن الأول أيسر وأسهل»(١٩).

ونستفيد من عبارات مفتاح السعادة ما يأتى:

١ ـ أن جعل علم تقاسيم العلوم ـ أى علم التصنيف ـ فرعا من العلم الإلهى، أى ذلك الفرع من الفلسفة الذى يعالج الالهيات عند فلاسفة الإسلام. وهذا هو دون شك أحد التأثيرات التى تركتها الفلسفة اليونانية، حيث نقل فلاسفة الإسلام من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا ـ نقلوا تصنيف اليونانيين ممثلا فى أرسطو ضمن ما نقلوه من فلسفاتهم(٢٠).

ومما يدل على ذلك أن طاش كبرى زادة يذكر ـ على نهجه فى ذكر المؤلفات فى كل علم أن لابن سينا رسالة فى هذا العلم. وهو يقصد ولاشك رسالة ابن سينا فى أقسام العلوم العقلية(٢١).

٢ ـ أن التصنيف عنده يعنى التقسيم: علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها، والهدف منه: أى من هذه العملية هو: ليحصل بذلك موضوع ذلك الأعم، أى أن التصنيف جزء من عملية التعريف: أى معرفة فروع

خلال تقسيمه؛ هو عملية معرفة الأجزاء من خلال تقسيم الكل. وقد ذكرت من قبل أن العلاقة بين التصنيف والتعريف لم تدرس بعد إلى الآن دراسة كافية.

ولاتزال عملية التقسيم (القسمة) division حتى الآن عملية أساسية فى التصنيف، وخاصة فى الخطط التقليدية.

٣ ـ أضاف طاش كبرى زادة عملية أخرى، وهى: التدرج من الأخص إلى الأعم على عكس الطريقة الأولى؛ أى ما يسمى: التكثير من أسفل إلى أعلى، أى من الخاص إلى العام. فإذا كان التقسيم يعنى التكثير من أعلى إلى أسفل: أى الانتقال من العام إلى الخاص، وهو الطريقة الاستدلالية، فإن الطريقة الثانية تعنى الانتقال من الخاص إلى العام، وهى الطريقة الاستقرائية، وهى التى لم تعرف فى التراث الفكرى التصنيفى الحديث إلا حديثا على يد چاستون فرادان فى سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢[٢٢].

وتسمى العملية فى مصادر عربية أحدث: التحليل. وهذه المصادر وإن كانت أحدث زمنا، إلا أن مادتها تنتمى إلى التراث الإسلامى بالكلية[٢٣].

٤ ـ أدرك صاحب المفتاح أيضا أن الطريقة الأولى: أسهل وأيسر، وهذا صحيح تماما، لأن الأسهل أن نبدأ بتعميمات توصلت إليها البشرية على مدى تاريخها الطويل، أى أن الانتقال من الكليات إلى الجزئيات أسهل من الطريقة العكسية. وعلى أية حال، فهذا الموضوع أدخل فى النظرية العامة للتصنيف، وخاصة فى الجزء الذى يتعلق بالأقسام الرئيسية، فالتفصيل هناك أليق، وسوف يأتى فى حينه إن شاء الله[٢٤].

وبمناسبة مفتاح السعادة، فإن مما يجدر ذكره أن المسلمين قد عرفوا أيضا الاستفادة من التصنيف فى ترتيب الكتب، سواء فى المكتبات أو الكتب الببليوجرافية. ودليلنا على ذلك كتاب الفهرست لابن النديم وكتاب مفتاح السعادة نفسه. وقد رتب ابن النديم الكتب المؤلفة والمترجمة على عشر مقالات تمثل أقسام المعرفة فى زمنه. كذلك فإن طاش كبرى زادة قد أورد فى كتابه كل علم من العلوم المعروفة لدى المسلمين وكان مما ذكره بالنسبة للعلم أهم المؤلفات فيه[٢٥].

الأسس الفلسفية للتصنيف والمصطلحات عند المسلمين

إن مما يجدر ذكره أن معرفة المسلمين بالتصنيف لم تقتصر على ما ذكرنا، بل إن هناك مجالات كثيرة لم تدرس بعد دراسة كافية وقد أشرت إلى شئ من ذلك فيما سبق. وننوه هنا بأن المصطلحات المتداولة فى الأسس الفلسفية للتصنيف ـ كجزء من النظرية التقليدية للتصنيف فى العصر الحديث ـ هذه المصطلحات قد عرف التراث التصنيفى الإسلامى الكثير منها. مثال ذلك: المقولات بصفة عامة ومقولات، أرسطو، والمحمولات، والكليات الخمس، وشجرة فورفوريوس، والمفهوم، والماصدق، والتصور، والكثير الكثير من المصطلحات، التى سوف ترد فى سياق ماتبقى من هذا الفصل. وقد اشتمل عليها التراث الإسلامى. ومن يستعرض كتب مصطلحات العلوم، مثل مفاتيح العلوم للخوارزمى يجد مصداق ما أقول. والمصطلحات التى اشتمل عليها المفاتيح مأخوذة بطبيعة الحال من كتب الفلاسفة والمناطقة. وقد نقلت هذه المصطلحات الكتب الحديثة، ومعاجم المصطلحات الفلسفية، بل إن الكثير من المصطلحات الفلسفية نفسها والموجودة فى الكتب الحديثة مأخوذة من كتب الفلاسفة القدماء؛ أعنى فلاسفة الإسلام.

وهذا ليس بطبيعة الحال بحثا مقارنا فى المصطلحات بين القديم والجديد، ولكن محاولة للفت الانتباه إلى أن مصطلحات التصنيف الحديثة التى تكون جانبا كبيرا من مصطلحات المدرسة التقليدية، هذه المصطلحات التى أخذت من الأسس الفلسفية للتصنيف موجودة فى التراث الفكرى التصنيفى لدى المسلمين. وليست مهمتنا بطبيعة الحال أن نتتبع هذه المصطلحات واحدا واحدا. غاية ما نريد أن نقوله أنها اختلطت بالمصطلحات فى العصر الحديث، وأننا حين ترجمة مصطلحات المدرسة التقليدية رجعا إلى مصادرها فى التراث التصنيفى للمسلمين.

مفاهيم التصنيف ومصطلحاته

يشير تطور التصنيف فى العصر الحديث، كما سوف نرى ذلك تفصيلا فى تناولنا لتاريخ التصنيف وتطوره ـ يشير إلى أن أول مدارس الفكر فى التصنيف ظهورا

فى العصر الحديث كانت المدرسة العلمية أو التقليدية. وأبرز رجال هذه المدرسة هم ريتشاردسون وسايرز وبليس. وقد ظلت آراء هذه المدرسة ونظرياتها مسيطرة على الفكر فى التصنيف لمدة طويلة حتى بدأت تخلى مكانها للنظريات الحديثة فى التصنيف المتعدد الأوجه والتى جاءت بها المدرسة الحديثة: رانجاناتان والمدرسة الهندية، وجماعة البحث فى التصنيف والمدرسة البريطانية.

وترى المدرسة التقليدية أن تصنيف الكتب ما هو إلا تصنيف للمعرفة، مع إجراء بعض التعديلات والإضافات التى تتطلبها طبيعة الكتب كوحدات مادية، والتى تتطلب أن يكون نظام التصنيف قادرا على العمل اليومى فى المكتبات. وسوف نتناول آراء هذه المدرسة بالتفصيل فى حينه، مع غيرها من المدارس التى تكون آراؤها نظرية التصنيف. أما الآن فنكتفى بالقول بأن ارتباط آراء هذه المدرسة بتصنيف المعرفة جعلها ترتبط بالأسس الفلسفية للتصنيف، وتشتق كثيرا من قواعدها ومصطلحاتها من قواعد التقسيم المنطقى التى ترسخت فى علم المنطق.

ولما كانت آراء هذه المدرسة ونظرياتها هى التى سادت المرحلة الأولى من التفكير فى التصنيف، فإن مصطلحات التصنيف الأولى ترتبط ارتباطا وثيقا بالأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف وبقواعد التقسيم المنطقى. وقد أشرت إلى ذلك فى بداية هذا الفصل.

التصور Concept

التصور هو الفكرة المجردة، وهو الصورة العقلية للشئ، أى إدراك العقل لعدد مترابط من الصفات، أو إدراك العقل لتركيب شئ ما، بحيث يتمكن من تسمية هذا الشئ حيثما ورد فى عالم الواقع باطراد. ومن المعروف أن اللغة هى رموز للأشياء أو الأفكار أو المعانى. ولا يكون للفظ معنى إلا إذا ارتبط بالصورة العقلية للشئ. فإذا قلت مثلا: كتاب، ترتسم فى عقلى الصورة العقلية لكتاب بشكله وصفاته المادية، وكذلك حينما أقول شجرة أو قلم أو تفاحة، إلخ. فكل هذه رموز إلى أشياء، حقيقية ترتسم صورتها العقلية فى الذهن حينما تذكر وبدون التصورات أو الصور العقلية للأشياء أو

المعانى لايكون للغة معنى. فإذا قلت: الغول أو العنقاء، فلن تجدلها صورة عقلية أى تصور، وذلك لأنها أشياء لاوجود لها.

وقد تكون التصورات للمعانى مثل معنى الخير أو الكرم أو الوفاء، أو عكس ذلك. والصور العقلية لها تكون صورا لمظاهرها العملية.

المقولة Category

المقولة هى تصور بالمعنى الذى عرّفنا به التصور تماما. وهى مثل أى تصور شامل تشمل مجموع الوحدات التى تندرج تحت هذا التصور. فمقولة الوجود مثلا هى تصور الأشياء الموجودة؛ ومقولة الكيف هى القسم الذى يضم كل الصفات. وتتصل المقولة اتصالا استشهاديا بأمثلتها، مثلما يتصل قسم التصور «الرجل» بأفراده، مثل محمد، وأحمد، وعلى، وحسين وغيرهم من الرجال الأفراد.

وقد يثير البعض الاعتراض التالى: «إذا كانت المقولة هى التصور، فما الذى يميز المقولة عن القصور اللامقولى؟ مامكان المقولات فى خطة التصورات؟» ونجيب: يختلف التصور المقولىَ عن غيره من التصورات الشاملة من حيث عموميته وشموله فقط. ومن ثم فإن المقولة تعرف تعريفا تصوريا بأنها تصور على درجة عالية من العمومية وشمول التطبيق، أو يمكن أن تعرف بأنها أعم أنواع الوجود التى يمكن أن يحصل عليها شئ ما[٢٦].

وقد وضع أرسطو فيلسوف اليونان المعروف عشر مقولات عبر بها عن الأقسام العشرة للكون، أو عبر بها عن الأجزاء النمطية للكلام، والتى تستخدم للتعبير الكون، أو الأحكام النمطية للكون. ومقولات أرسطو هى:

١ ـ الجوهر Substance
٢ ـ الكم Quantity
٣ ـ الكيف Quality
٤ ـ الاضافة (الاسناد) Relation
(وبخاصة مثل ضعف، نصف، أكبر من، الخ)

٥ ـ أين Place

٦ ـ متى Time

٧ ـ الوضع أو النصبة Situation or Position

(مثل قائم أو نائم)

٨ ـ مقولة له (الملك) Possession

(مثل اللباس أو الزينة)

٩ ـ مقولة ينفعل (الانفعال) Activity

(فى أخص معانية كالأفعال المعلومة مثل

يقطع أو يحرق)

١٠ ـ مقولة يفعل (الفعل) Passivity or Passion

(مثل صيغة المبنى للمجهول فى أى فعل مبنى للمجهول)[٢٧].

مقولات رانجاناتان الجوهرية Fundamental Categories

وبعد مقولات أرسطو هناك أيضا مقولات كانت[٢٨]. وليس هدفى هنا استقصاء دراسة المقـولات، ولكننى أردت أن أشير إليها فى التراث التصنيفى، لأن لها وجودا فى الفـكر التصنيفى الحديث، وهـى مقولات أو فئات رانجاناثان الجوهرية الخمس Five Fundamental Categories. هذه المقولات أو الفئات هى أساس فكرة التحليل الوجهى Facet analysis عند رانجاناثان، والتى تمثل قلب التصنيف المتعدد الأوجه Faceted، وهى الجزء الذى حظى بالاتفاق على المستوى الدولى فى المؤتمرات التى عقدت للبحث فى التصنيف، ابتداء من مؤتمر دوركنج فى لندن ١٩٥٧[٢٩]. هذا النوع من المنهج الذى نقل التصنيف والبحث فيه فى اتجاه مخالف لما كان عليه وفق النظرية التقليدية. وهذه المقولات هى:

١ ـ الزمان Time

٢ ـ المكان Space

٣ ـ النشاط أو الفعل Energy

٤ ـ المادة Matter

٥ ـ الشخصية Personality

وتعرف بصيغة PMEST (ش م ط ن ز) ويلاحظ أن ترتيب الحروف الأوائلية يسير عكس ترتيبها فى القائمة بحيث بدأت بالشخصية P وانتهت بالزمان T. وذلك لأن ترتيب الأوجه فى الصيغة يسير حسب مبدأ تناقص المحسوسية، ولكن ترتيب الكتب على الرفوف وفى الفهرس المصنف يسير عكس ذلك، حسب مبدأ تزايد المحسوسية. ومن المعروف أن وجه الزمان، فى هذه الصيغة، هو أقل الأوجه محسوسية، وأن وجه الشخصية هو أكثرها محسوسية.

وإذا كنا قد عرفنا المقولات عند أرسطو، فما تعريف المقولة فى تصنيف المدرسة الحديثة ـ مدرسة رانجاناثان. لقد حاول إريك دى جرو ليبه، وهو عالم تصنيف فرنسى ألف كتابا عن المقولات، حاول تعريف المقولة، وقد وجد فى هذا الصدد غموضا فى الانتاج الفكرى لموضوعنا، فأحيانا يؤخذ اللفظ فى معناه الأوسع والأعم: مثلا يعتبره، ولدهاك، مرادفا لوجهة النظر التى يمكن أن يقسم بها الموضوع. ويعتبره د. ج. فوسكت مرادفا للفظ، وجه، الذى ابتكره رانجاناثان أيضا، ويرى أن التحليل الوجهى Facet analysis عبارة عن تحليل موضوع ما فى كليته إلى عدد معين من «أوجه» أو «مقولات» أو «فئات» الأشياء، وفى داخل كل فئة تمتلك الرؤوس التى تم حصرها فيما بينها نفس العلاقة التى للموضوع فى كليته(٣٠).

أما رانجاناثان فيستخدمها بصورة أكثر تخصيصا، كما يذكر دى جروليبه، فكل وجه لأى موضوع، وكذلك كل بؤرة لأى وجه، تعتبر إبرازا لواحدة من المقولات الخمس الجوهرية. ويعلق دى جروليبه: «ومع أنه يمكن تتبع هذه الفكرة فى التراث الفلسفى أو حتى الصوفى، فهى تبدو عند رانجاناثان متصلة بشاغل عملى جدا هو «ضمان تسلسل موحد للأوجه، تحت الموضوعات المختلفة»(٣١) وسوف نعطى عددا

من مصطلحات المدرسة الحديثة فى حينها، وذلك حتى لانقطع هذا التسلسل ولكننا أعطينا مقولات رانجاناثان لأنها جزء من هذا السياق.

الأسماء (الحدود أو الألفاظ) Terms

إذا كان تكوين التصورات ـ أى الأفكار المجردة ـ هو الخطوة الأولى فى أية عملية تفكير، فإن الخطوة التالية، أو الجانب الأخير فى عملية التجريد Abstraction هى عملية التسمية. وبدون الأسماء (الألفاظ) لايمكن نقل الأفكار من عقل إلى آخر.

وفى المراحل الأولى للمعرفة تشتغل العمليات العقلية بتمييز أشياء، أو صفات، أو علاقات محددة، ثم ترتبها فى نظام، ثم تعرف هذا النظام بنوع من العامل اللغوى. وذلك يحدث بالنسبة للفرد الذى يشتغل بالعمل الذهنى وبالنسبة لغيره من الأفراد حتى يأتى وقت تمثل فيه الكلمة أو الاسم أو الرمز هذا النظام المعقد بالذات و«تعنيه» دون غيره.

فإذا نظرنا إلى الأسماء مستقلة عن عملية التسمية، فإننا يمكن أن نعرفها بأنها الكلمات، أو جماعات الكلمات، أو الرموز التى تستخدم لتعيين معنى محدد أو كل استدلالى. وحينما يعطى الاسم لأول مرة، فقد يكون كما يذكر أرسطو مجرد تقليد، ولكن ينبغى على المرء أن يضع فى الحسبان ما ذكره وليم جيمس من أن الأسماء قد تكون مفتعلة أو عفوية، ولكن إذا ما تم فهمها وقبولها فلابد من التمسك بها والاستمرار فى استخدامها(٣٢).

والمنطقى يرد كل الأسماء التى ترد فى أى حكم مهما كان عددها إلى قسمين: الموضوع والمحمول، ويعرفان بأنهما: «الحدان المنطقيان».

ويتم التعبير عن التصنيف بأسماء الأقسام أو ألفاظها، وهى المضايف اللفظى للقسم الذى يدل عليه كل واحد منها، وقد يكون كلمة مفردة أو عبارة تعبر تعبيرا كافيا عن مفهوم القسم الذى تمثله(٣٣).

وينبغى أن تستخدم الألفاظ بمعنى ثابت فى كل مكان من خطة التصنيف

الواحدة، والصورة المثالية هى أن تستخدم بشكل ثابت خلال أى عمل من أعمال التصنيف.

وينبغى ألا تتعدد معانى الألفاظ مطلقا. وقد تكون الألفاظ مصطلحات فنية، وقد تكون دارجة، وهذا يعتمد على الاستخدام المنتظر للتصنيف. وتفضل المصطلحات الفنية بصفة عامة، وهذا يرجع إلى أن الألفاظ ينبغى أن تكون أكثر ثباتا وبقاء، وأن لا تحتمل تعدد المعانى، وأن يتيسر فهمها على نطاق واسع(٣٤).

ولعله من الملاحظ أن كلمة الأسماء أو الحدود أو الألفاظ هى مقابل للفظ، Termsوهى تعنى المصطلحات، وهذا هو المعنى الشائع لها، ولكن المقابلات الأولى هى المقابلات التى وردت فى كتب ومعاجم المنطق والفلسفة. ومن المهم أن نذكر هنا أن المصطلحات أو الألفاظ هى التى تكون لغات التكشيف: التصنيف، ورؤوس الموضوعات، ونظم التكشيف. والقاعدة المنوه عنها هنا فى الغاية من الأهمية حيث يجب أن تستخدم المصطلحات فى النظام كله أيا كان بمعنى موحد، حتى لا يحدث خلط فى المعانى والمفاهيم. ومن المهم أيضاً أن نلاحظ العلاقة بين الألفاظ كلغات للتكشيف وبين اللغة(٣٥).

التعريف Definition

ليس هناك حتى الآن من استطاع أن يصف العلاقة بين التصنيف والتعريف وصفا كافيا. وهذه العلاقة هى فى أحد معاينها علاقة دائرية، بمعنى أن كلا من التصنيف والتعريف من الأساليب الفنية التى تستخدم للتحليل المقنن للظاهرة والوصف المنظم لها. والتصنيف ينبغى أن يبدأ بتحليل واضح لما سوف يتم تصنيفه ـ وهذا هو جوهر التعريف ـ فى حين أن التعريف يصور الأقسام فى داخل سلم مراتب التصنيف Hierarchy.

ويمكن أن نصف التعريف لغة بأنه قضية الموضوع فيها مساو تماما للمحمول، وأحدهما يدل على مفهوم الظاهرة المعَّرفة والآخر يدل على الماصدق.

وقد ذكر شيرا عددا من أنواع التعريف المألوفة والمقبولة، وهى تعتمد عادة على طبيعة المادة المعرفة أو على الغرض الذى يستخدم من أجله التعريف. وذكر شيرا أيضاً نقلا عن بليس أن: التعريف هو عملية نجعل فيها مفهوم التصور أو القسم أكثر تميزا خلال إقامته على صفة غالبة أو جوهرية أو أصلية، ثم جعل التفاصيل العرضية أو غير الجوهرية تابعة لهذه الصفة، أو ربما إهمال هذه التفاصيل الثانوية كلية[٣٦].

كذلك نقل شيرا القواعد الرئيسية أو المعايير التى يجدر تذكرها فيما يتصل بالتعاريف، ونحيل إليها هنا إيثارا للاختصار[٣٧].

القسم Class

كلمة Class هى الكلمة التى اشتقت منها فى اللغة الإنجليزية كلمة التصنيف. وهى تعنى صنف أو طبقة اجتماعية، أو طائفة أو فصل دراسى، أو قسم. ويبدو لنا أن كلمة قسم هى أنسب كلمة عربية مقابلة لكلمة Class، لأنها تعبر تعبيرا دقيقا عن تعريفه المنطقى، فضلا عن أن هذه الكلمة قد شاع استعمالها فى سياق التصنيف منذ مدة طويلة. وقد رأينا أن ابن سينا قد استخدم: أقسام العلوم العقلية، وأن مفتاح السعادة قد استخدم: علم تقاسيم العلوم. وعلاوة على ذلك، فإن هذا اللفظ أنسب من غيره فى سياق تصنيف المكتبات، حينما نتحدث عن المعلومات والمكتبات. قد يكون من الشائع أن نقول: صنف من الناس، إلخ.، ولكن إذا تعلق الأمر بالموضوعات والمعلومات فقد لا يكون هذا شائعا.

والأقسام هى العناصر المكونة للتصنيف، وإذا حدث خلط فى التحديد الدقيق للأقسام المستقلة، فسوف يفسد هذا كل الغرض من التصنيف. وهذه قضية كبرى من قضايا إعداد نظام التصنيف العام، سوف نتناولها فى مكانها المناسب من نظرية التصنيف، أما الآن فإننا نقتصر على المفاهيم الأساسية.

ولما كناقد ذكرنا أن مصطلحات التصنيف ينتمى كثير منها ـ وبخاصة تلك التى تتعلق بالمفاهيم الأساسية ـ إلى المدرسة التقليدية، فإننا نعطى هنا، وبشئ من

التفصيل، تعريف بليس، لأن بليس هو أكبر رجال هذه المدرسة وأكبر منظر فيها، فقد درس نظرية التصنيف كما لم يدرسها غيره.

يقول بليس:

يتألف القسم من كل الأشياء التى ترتبط، أو ارتبطت، أو يمكن أن ترتبط بواسطة التشابه، وتتباعد بواسطة الاختلاف، عن كل الأشياء الأخرى، فى الطباع أو الخواص أو العلاقات الجوهرية والمهمة والانتقائية التى تعرف بها.

ويجمع ما صدق Extension القسم كل الأشياء، الواقعية الحقيقية أو الذهنية المجردة، المعروفة والتى يمكن معرفتها، الحاضرة والماضية والمستقبلية، والتى يمكن أن تفهم من تعريفه.

ويمكن أن يوجد التشابه بين الأشياء المصنفة أو الاختلاف بين الأقسام فى:

١ ـ خاصية أو خاصة أو علاقة دالة واحدة؛

٢ ـ اثنين أو أكثر من هذه مجتمعة؛ أو

٣ ـ الطبيعة الكلية أو «جوهر الشئ».

أى أن التشابه أو التباين قد يكون جزئيا، أو إضافيا، أو جوهريا أو كاملا، وقد يكون باطنيا أو ظاهريا، وقد يكون كيفيا أو كميا.

والقسم هو جملة الأشياء المعرفة، هو جميع الأشياء فى حالتها الكلية كأشياء كاملة لا خواصها أو كيفياتها أو ما هياتها فقط، رغم أن الأشياء تتشابه؛ أو تتباين من خلال هذه الصفات أو الخواص أو الماهيات كما يعرّف القسم بواسطتها.

والقسم كامل احتمالا من حيث أنه لايجمع أو يعم كل الأشياء الكائنة فحسب، ولكنه يشمل كل الأشياء الماضية والمستقبلية والمحتملة التى يمكن أن تعرف بتعريفه أو تسمى باسمه. وهو ليس كاملا فى حالته الراهنة لأنه ليس جامدا أو استاتيا Static، بل هو متطور نام فى ما صدقه ومفهوم هوتعريفه(٣٨).

ويلاحظ أننا قد استخدمنا هنا ـ نقلا عن بليس ـ عددا من المصطلحات: الماصدق Extension، المفهوم Intension، والتعريف والتباين، وهى مصطلحات

فلسفية ومنطقية، وهى ليست مصطلحات حديثة، بل إن مقابلاتها العربية التى أعطيناها رجعنا فيها إلى كتب التراث وإلى المعاجم العربية الفلسفية حتى ننقل المقابلات الصحيحة التى توصل إليها المناطقة القدماء وتقلها الفلاسفة المحدثون. وسوف نعطى شرحا موجزا لها بعد قليل.

هذه المصطلحات تفتح الباب أمام جماعة أخرى من المصطلحات نوردها فيما يلى حتى تكتمل المعالجة.

المحمولات أو الكليات الخمس Five Predicables

عرف التراث التصنيفى جماعة من خمس مصطلحات منطقية تعرف باسم المحمولات أو الكليات الخمس، وهى تعبر عن كل العلاقات الممكنة التى تتعلق بموضوع ما. وقد وضعها المنطقى اليونانى فورفوريوس Porphyry، ويمكن أن نعرفها على النحو الآتى:

الجنس Genus: سلسلة من الأشياء أو الأفكار (أو مصطلح يمثل هذه الأشياء) التى يمكن أن تقسم إلى جماعتين أو أكثر تسمى الأنواع Species.

النوع Species: هو إذن واحد من الجماعات التى يقسم الجنس إليها. واللفظ الإنجليزى مفرد وجمع Species.

الفصل difference: هو تلك الصفة التى تضاف إلى الجنس لتكوين الأنواع.

الخاصة Property: هى صفة مشتركة بين كل عضو من أعضاء الجنس، ولكنها لا تقتصر على ذلك الجنس وليست جوهرية. بالنسبة لتعريف ذلك الجنس: أى أنها توجد فى كل أفراد الجنس ولكنها يمكن أن توجد أيضا فى أفراد آخرين.

العرض Accident: هى صفة يمكن أن يمتلكها أولا يمتلكها أى فرد من أفراد الجنس. وامتلاكها عرض محض وليس له علاقة جوهرية بأى فرد من أفراد الجنس. ويستخدم العرض بكثرة كفصل.

وإن الأسس التى تتضمنها المحمولات تحكم كل التصنيف، لأن كل التقسيم (القسمة) division يستمر عن طريق إضافة الفصول إلى الأجناس[٣٩].

شجرة فورفوريوس Tree of Porphyry

إن المحمولات الثلاث الأولى تتضح ببساطة فى شجرة فورفوريوس المشهورة:

المادة

المادة — ماله جسم — ماليس له جسم

أى الجسم

العضوى — غير العضوى

أى الكائن الحى

الحاس — غير الحاس

أى الحيوان

العاقل — غير العاقل

أى الإنسان

سقراط — أفلاطون — چون براون — آخرون[٤٠].

المادة Substance هى الجنس، يضاف إليها الفصل: امتلاك الجسم أو الجسمية، فنحصل على النوع الجسم... وهكذا أسفل الشجرة حتى نصل إلى الرجل المفرد أو الفرد. ويمكن أن نرى أن: الجسم، والكائن الحى، والحيوان تعامل على أنها أجناس وعلى أنها أنواع، فالجسم مثلا هو نوع من المادة وهو جنس بالنسبة للكائن الحى[٤١].

والمادة، فى اللغة الفنية، هى القسم المفرد الذى يضم لكل، والذى يبدأ عنده التقسيم، ويطلق عليها الجوهر Summon genus. ويقال إن المصطلح المادة له ما صدق كبير ومفهوم صغير، فى حين أن چون براون له ما صدق صغير ومفهوم كبير.

ونعنى بذلك أن مجموع الأشياء أو الأفكار التى تغطيها كلمة مادة هى حصلية هائلة، ولكن الصفات التى يستدل منها عليها قليلة. ومن ناحية أخرى، فإن چون براون يغطى شخصا واحدا فقط، ولكن الصفات التى تفهم منه كثيرة ـ كل تلك الصفات التى تميز چون براون عن كل رجل آخر يعيش أو عاش، فضلا عن تلك الصفات التى تميز الإنسان عن الكائن الحى، والحيوان، إلخ.

ما صدق extension اللفظ هو مجموع الأشياء التى يغطيها ذلك المصطلح. ومفهوم اللفظ intension هو مجموع الصفات التى يعنيها هذا اللفظ، أو بمعنى آخر: الحد الأدنى من الصفات اللازمة لتعريف اللفظ. هناك إذن طريقتان للنظر إلى اللفظ. فى الماصدق ينظر إليه باعتباره اسم قسم Class name، «يغطى» شيئا معينا أو عددا من الأشياء. وفى المفهوم intension ننظر إليه من زاوية معناه أو صفاته، أو جملة الصفات التى تكون معناه.

ويستخدم مصطلحان آخران بشكل مترادف مع الماصدق، والمفهوم، وهما المشمول Denotation والمدلول Connotation على التوالى.

ويضرب فيليبس مثالا على ذلك لفظ «مكتبة». مفهوم أو مدلول لفظ مكتبة هى صفات مكتبة ما، أى: مكان تحفظ فيه الكتب، وتقرأ، وتستعار، إلخ، أما المشمول أو الماصدق، فهو الأشياء التى يغطيها اللفظ، أى كل المكتبات فى العالم، كل تلك المكتبات التى وجدت، والتى توجد، والتى سوف توجد. فإذا تناولنا لفظ «المكتبة العامة» فإن الصفات تزيد، حيث أن هناك خصائص Characteristics تختص بها المكتبات العامة لا تصدق على كل المكتبات ومع ذلك، فإن عدد الموجودات قد نقص. وكذلك مع اللفظ: مكتبة نيويورك العامة، أو مكتبة جلاسجو العامة، فإن المدلول يزيد كثيرا جدا عن مدلول «المكتبة» أو «المكتبة العامة» فى حين أن المشمول أو الماصدق قد تناقص حتى وصل إلى مكتبة واحدة يغطيها اللفظ(٤٢).

ويتبع هذا أنه فى أى جدول، يتم تكوينه عن طريق إضافة الفصول إلى الأجناس، يتبع هذا أن ترتيب سلم المراتب hierarchy يتزايد فى المفهوم تدريجيا ويتناقص فى الماصدق. فالجنس له دائما ماصدق أكبر من أنواعه، وكذلك فإن الأنواع يكون لها دائما مفهوم أكبر من جنسها ـ الجنس الذى تنتمى إليه(٤٣).

وقد أتى العرض السابق بمفاهيم ومصطلحات جديدة، منها سلم المراتب hierar-chy، وهو سلسلة من الأشياء تقسم حسب مراتبها. وهذا المصطلح ذو أهمية كبرى فى أنظمة التصنيف. وقد انتقلت أهميتة إلى فهارس البحث المباشر فى الوقت الراهن(٤٤).

كـذلك ورد مصطلح التقسـيم Division وخاصـية التقسـيم Characteristic of division. والمقصود التقسيم هنا هو التقسيم المنطقى ولعله قد اتضح مما ذكرناه عن الجنس والأنواع، فالتقسيم المنطقى هو عملية تمييز النوع من الجنس، أو تمييز النوع الفرعى من النوع، وذلك عن طريق إضافة خاصية Characteristic مميزة إلى تعريف القسم الأكبر. وبهذه الطريقة تستقل الجماعات فى داخل القسم الأعم عن بعضها الآخر عن طريق امتلاكها لصفة لايشترك معها فيها القسم ككل.

والخاصية هى النقطة البؤرية (المركزية) فى عملية التقسيم، ولما كان إجراء التصنيف ينطوى على اكتشاف وتحقيق هوية فصول متتابعة، فإن هناك قواعد للتقسيم تحكم عملية التصنيف، وتسمى هذه القواعد بقواعد التصنيف المنطقى. وقد استعارها التصنيف من علم المنطق وهى ذات قيمة كبيرة لأنها تضبط عملية التقسيم ـ تكوين الأقسام. وقد عالجت المصادر المختلفة هذه القواعد فليرجع إليها من أراد التفصيل(٤٥).

يصنف Classifiy

الفعل يصنف له معنيان:

« ١ ـ تكوين أو تصور قسم ما، من كثرة الأشياء، وهذا يعنى ضمنا تشابه الأشياء بحيث تكون نواة قسم ما، وأن الأشياء الأخرى التى تُشبِّهُ على هذا النحو بعد ذلك سوف تعين لهذا القسم أو ترد إليه.

« ٢ ـ تنسيق الأقسام فى ترتيب ما، أوربط الأشياء فى نظام ما، وفقا لمبدأ أو تصـور أو عـرض أو مصلحة، وهـذا يعنى ضمنا أن الأشياء لاتصنف، وأن الأقسام لا تتكون فحسب، بل يعنى أيضا أن الأقسام نفسها ترتب وتقنن»(٤٦).

وبعد هذا العرض المفصل للمصطلحات والمفاهيم نأتى الآن إلى لفظ التصنيف.

التصنيف Classification

يعرف بالدوين فى: Dictionary of Philosophy التصنيف بأنه عملية جمع

الأشياء المتشابهة، وكذلك تعرفه دائرة المعارف البريطانية. وتعرفه دائرة معارف Colliers عن طريق تحديد الغرض منه بأنه «تبسيط تناول الوحدات (المواد) المنفردة، سواء كانت أشجارا، أم أشخاصا، أم كتبا، عن طريق تجميع تلك الأشياء التى لها صفات متشابهة».

كذلك ينقل نيدام Needham معنى كلمة التصنيف من:

Shorter Oxford of English Dictionary

وهو: «عدد من الأفراد (أشخاص أو أشياء) يمتلكون صفات مشتركة ويجمعون معا تحت اسم عام أو اسم القسم. نوع، صنف، شعبة»(٤٧).

وهناك عدد كبير من تعريفات لفظ التصنيف ذكرتها المصادر المختلفة ومنها مما ذكره سايرز. فقد أورد أربعة معان مقبولة للفظ التصنيف:

(أ) العملية الذهنية التى يتم خلالها إدراك التشابه أو الوحدة فى صورنا العقلية، ومن خلال هذا التشابه أو الوحدة يتم التأليف بين هذه الصور وتوضع مرتبطة مع بعضها. وهذا هو المعنى المنطقى والواقعى.

(ب) عملية ترتيب الأشياء الواقعية بحيث تمثل الترتيب المجرد فى (أ) وهذا هو التصنيف العملى.

(جـ) قائمة الألفاظ المكتوبة أو المطبوعة التى تمثل نظام تصنيف ما، وهذه تسمى خطة التصنيف Scheme.

(د) عملية وضع الأشياء أو الكتب فى أماكنها الصحيحة فى خطة التصنيف وهذا هو فن التصنيف Classifying أو التصنيف العملى(٤٨).

ومن الواضح هنا أن التصنيف العملى المقصود فى الفقرة (ب) هو غير التصنيف العملى المقصود فى الفقرة (د)، فالأول هو عملية ترتيب للأشياء الواقعية أما الأخير فهو تعيين أرقام التصنيف للكتب وفق خطة تصنيف معينة. ولذلك أسميناه: فن التصنيف، فى مقابل علم التصنيف.

ويعرف فيليبس التصنيف بأنه «يصدق فى أحد معانيه على ترتيب الأفراد، أو المواد (الوحدات)، أى الأشياء والأفكار المفردة، فى جماعات تبعا لدرجة تشابهها، ثم ضم هذه الجماعات فى فئات أكبر. وتصل العملية إلى نهايتها حينما نصل إلى جماعة واحدة تضم الكل بحيث تشتمل على كل المفردات»(٤٩). أى أن التصنيف يجمع الأشياء المتشابهة ويفصل الأشياء غير المتشابهة.

والتعريفات التى ذكرناها فيما سبق تؤكد على معنى التشابه، إلا أن برود فيلد Broadfield يرفض هذا التأكيد على التشابه ويرى أن الاختلاف قد يكون ذا أهمية أكبر(٥٠).

وقد تفادى بليس الجدل حول هذه النقطة وأعْطَى تعريفا لعله أكثر التعريفات فائدة:

«التصنيف عبارة عن سلسلة أو نظام من الأشياء نسقت فى ترتيب ما، وفقا لمبدأ أو غرض أو تصور أو مصلحة ما، أو مزيج من هذه جميعا. ويصدق اللفظ على الترتيب، سواء ترتيب أسماء الأقسام، أو ترتيب الأشياء الحقيقية والتصورية التى تصنف على هذا النحو. كما أن لفظ التصنيف، هو من خلال الاشتقاق والاستعمال اسم لعملية تصنيف أو ترتيب الأقسام أو الأشياء بوصفها عملية أو طريقة»(٥١).

وقبل أن أترك هذا العرض لايفوتنى أن أذكر تعريفا لأحد أهم وأحدث المصادر فى الموضوع، وهما مارسيلا ونيوتن، حيث يحددان مفهوما كليا للهدف من التصنيف، كما يستخدمانه فى كتابهما بأنه:

«إنشاء نظام موضوعى ذى فائدة قصوى للباحثين عن المعلومات، وصيانة هذا النظام أو الترتيب أو المحافظة عليه، ويمكن أن نعرف عملية التصنيف كما مارسها عبر السنين: المكتبيون، والمؤسسات ذات الصلة والتى تمتلك خزانة معلومات فى شكل كتب وغيرها من المواد، يمكن أن نعرفه على النحو الآتى:

«الترتيب المقنن Systematic بالموضوع للكتب وغيرها من مصادر التعلم و/ أو

الترتيب المقنن المشابه لمداخل الفهرس أو الكشاف بالطريقة التى تكون أكثر إفادة لهؤلاء الذين يبحثون إما عن قطعة محددة من المعلومات أو عرض أكثر مصادر المعلومات احتمالا للبحث الفعال لموضوع من اختيارهم»[٥٢].

وهذا الأسلوب مصمم من أجل تسهيل الاستفادة من المعرفة المخزنة فى مجموعات المكتبة أو خدمة المعلومات. والوثائق تصنف حينما يحاول أى فرد أن يحدد مكان وثيقة ما ـ أو عدد من الوثائق ـ فى موضوع معين، فإن هوية أو ذاتية هذه الوثيقة التى تعالج الموضوع يمكن استرجاعها من النظام وهو فى هذه الحالة مجموعات المكتبة[٥٣].

ورغم أن الكتاب السابق هو خليفة جديد لكتاب سايرز التقليدى Manual إلا أنه ابتعد عن التعريفات التقليدية وعرف الموضوع تعريفا حديثا يمكن أن يصدق فقط على تصنيف الكتب والمعلومات.

ومن دراستى للموضوع لمدة طويلة وتدريسه لعدة عقود فى الجامعات العربية المختلفة، سوف أذكر هنا تعريفات التصنيف بطريقة أرجو أن تكون مفيدة لدراسة الموضوع.

١ ـ التصنيف كعملية عقلية

يمكن أن نعرف التصنيف كعملية عقلية بأنه تكوين التصورات Concepts أو الصور العقلية للأشياء. وهى عملية ذهنية أو عقلية mental process يقوم بها العقل البشرى باستمرار للربط بين الأشياء سواء كان أشياء مادية أو معنوية وبين الصور العقلية لهذه الأشياء.

وعن التصنيف بهذا المعنى، يذكر فيليبس أن:

«التصنيف هو أساسا عملية عقلية، هو طريقة للتفكير؛ فنحن نجمع أو تفصل تبعا لمفاهمينا أو أفكارنا عن الأشياء. ويطلق على العملية العقلية: الجمع أو الفصل عملية التجريد abstraction، وهى معين للذاكرة وقوة التعليل أو التسبيب. ولا يمكن تحقيق ذاتية أى شئ بدونها، بل يمكن فى الحقيقة أن نقول إن كل التفكير

والتعليل يمتلك عملية ما من التصنيف. فحينما ندرك أو نتعرف على، كلب أسود صغير، فإننا نميز الكلب كحيوان عن كل الثدييات الأخرى، ثم نميزه أيضاً من حيث الحجم واللون، وأن «الكرة مستديرة»، وأن «الدجاج يضع البيض» وأن البقر يعطى اللبن، وأن الطيور تطير، وأن الحذر ضرورى إذا أردنا أن نعبر ميدانا مزدحما، فنحن فى كل هذا نصنف بطريقة آلية»(٥٤).

وعن علاقة التصنيف بالعلم، يقول فيليبس:

«وفى تاريخ كل علم، يكون التصنيف أول طريقة تطبق أو توظف، وعلى هذا فإن كل علم هو فى أحد معانيه علم تصنيفى(٥٥).

«وقد قَدَّر چيڤونز (العالم المشهور) العلاقة بين العلم والتصنيف فى الكلمات التالية: العلم... هو اكتشاف الذاتية، والتصنيف هو أن نضع معا، سواء من حيث الفكر أو من حيث التجاور الفعلى فى المكان، تلك الأشياء التى اكتشفت الذاتية فيما بينها. ويتبع هذا، أن قيمة التصنيف مساوية أو مطابقة Co - extensive لقيمة العلم والتعليل العام. فنحن حينما نكون قسما فإننا نضغط الكثرة إلى الوحدة، ونكتشف الواحد فى الكثرة كما يقول أفلاطون»(٥٦).

٢ ـ التصنيف بالمعنى العام

أما التصنيف بالمعنى العام فهو جمع الأشياء المتشابهة وفصل الأشياء غير المتشابهة، ويتحدد التشابه أو الاختلاف بناء على امتلاك الأشياء ـ أو عدم امتلاكها ـ لصفة معينة تسمى الخاصية.

والخاصية Characteristic هى صفة جوهرية فى الشئ وهناك عدد من الصفات الجوهرية Essential التى تعطى للشئ هويته أو ذاتية أى تجعل الشئ هو هو وليس شيئا غيره، وهى فى نفس الوقت لا توجد فى غيره، مثل صفة النطق فى الإنسان.

ولكن هناك أيضا صفات أخرى توجد فى الأشياء، ويمكن أن تستخدم أساسا للتصنيف أحيانا. والمهم أن تكون الخاصية أساسية بالنسبة للغرض من التصنيف.

مثال ذلك: حينما يصنف عالم النبات Botanist النباتات المختلفة فإن الخصائص

التى يختارها أساسا للتقسيم لابدوأن تكون مختلفة عن الخصائص التى يحتاجها البستانى؛ وتلك التى يحتاجها عالم الحيوان تختلف عن تلك التى يحتاجها الطبيب البيطرى الذى يعمل فى حديقة للحيوان. وتقسيم الطلبة لأغراض الدراسة الأكاديمية يختلف عن تقسيمهم لأغراض تحقيق صحفى عن التقسيم الجغرافى للطلبة، أى المناطق التى جاءوا منها. والمهم أن تكون الصفة أو الخاصية المختارة أساسية بالنسبة للغرض من التصنيف.

«... والتصنيف بهذا المعنى العام نشاط نمارسه جميعا فى حياتنا اليومية: فلدينا خريطة عقلية ـ أو «تصنيف» ـ نربط فيها أو نفصل الأشياء، والأفكار، والانطباعات التى هى جميعا خبرتنا عن العالم. وتهدف نظم التصنيف إلى توفير بنية لتنظيم المواد بحيث يمكن أن نسترجع وحدة (أو مادة) ما وفقا لمظهر ما من مظاهر طبيعتها».

«ومع ذلك فيجب أن نلاحظ أن الأسس والمبادئ التى سوف نطبقها حينما نتناول كيفية تنظيم المعلومات واسترجاعها من الكتب والصحف والنشرات والتقارير وما إلى ذلك ـ تصدق أو تنطبق على الأشياء بصفة عامة»[٥٧].

التصنيف بهذا المعنى العام مفيد فى جميع مجالات الحياة، ولا يمكن أن تستغنى عنه، بل إن الحياة الحديثة مدينة لهذا التصنيف، إذ هو يعنى اكتشاف النظام فى الأشياء، أو رد الفوضى إلى نظام. بديهى أن الحياة لاتسير بدون التنظيم وأنه موجود فى جميع مجالات النشاط الإنسانى. وهو بهذه المثابة وسيلة موفرة للوقت والجهد، لأن الأشياء لو لم تكن مصنفة لاحتجنا أن نصنفها فى كل مرة نريد الاستفادة منها وهذا أمر مستحيل.

ويمكننا الأن أن نسحب التعريف على عالم المعرفة والموضوعات والمعلومات فنقول إنه جمع المعلومات المتشابهة وفصل المعلومات غير المتشابهة وذلك على أساس الصلة أو القرابة الموضوعية، لأن الصفة أو الخاصية الجوهرية للمعلومات هى المحتوى الفكرى أو الموضوع وليس أى بيان وصفى أو مادى أو شكلى آخر. فمن أجل هذا المحتوى الفكرى يؤلف المؤلفون الذين يريدون توصيل رسالة معلوماتية إلى الناس. ومن أجله أيضا ـ المحتوى ـ تقتنى المعلومات ومصادرها، بل من أجله نشأت المكتبات ومراكز المعلومات أصلا، وبالتالى، علم المكتبات والمعلومات كله.

٣ ـ تصنيف المعرفة Classification of Knowledge

هناك نوعان كبيران من التصنيف، هما:

١ ـ تصنيف المعرفة، ويقصد به تصانيف الفلاسفة والعلماء.

٢ ـ التصنيف الببليوجرافى أو تصنيف الكتب، وسوف نتناوله بعد.

أما الآن فإننا نتحدث عن كل من التصنيف الفلسفى والتصنيف العلمى.

التصنيف الفلسفى Philosophical هو عبارة عن تصور الفلاسفة لترتيب المعرفة وتقسيمها. وهو مجرد رياضة عقلية كان يمارسها الفيلسوف كجزء من فلسفته ولم يقصد بها أصحابها أبدا أن تستخدم فى المكتبات. ولو حدثت الاستفادة فيما بعد فهى شئ لم يرد فى ذهن أصحاب هذه التصانيف. وسوف نعود إلى هذه النقطة فى دراستنا لتاريخ التصنيف.

أما التصنيف العلمى Scientific فهو نوع من التصنيف وضعه العلماء للكائنات الحية وهو يعرف عندهم بتصانيف الأحياء Taxonomic classifications أو Taxonomy وهو يدرس الآن أساسا فى كليات العلوم وغيرها من الكليات التى تهتم بالأحياء.

هذا النوع من التصنيف لم يقصد به واضعوه أبدا أنه سوف يستخدم فى المكتبات، ولكن قيمته كانت علمية محضية، وكان الهدف منه خدمة العلوم نفسها. وهذا النوع من التصنيف نمط شائع فى العلوم الطبيعة Natural وقد ظهر إبان عصر تطور العلوم الطبيعة فى القرون: ١٦، ١٧، ١٨. وقد ساهم فى تقدم تلك العلوم.

يقوم هذا النوع من التصنيف على تصنيف الكائنات الحية إلى رتب وأقسام وفقا للصفات التشريحية. وتسجل الصفات التى يمتلكها كل قسم أو طبقة أو رتبة. وحينما يجد العلماء: النبات أو الحيوان، كائنا جديدا يشرحونه وعن طريق مضاهاة صفاتة التشريحية بالصفات المسجلة لديهم للكائنات التى تم تشريحها من قبل كان يمكن معرفة إن كان الكائن الجديد ينتمى إلى أحد الأقسام الموجودة أم لا. فإن كانت الصفات التشريحية مختلفة يكون العالم قد توصل إلى اكتشاف جديد.

وفى عصر الاكشافات العلمية والكشوف الجغرافية فى البيئات التى تمتلك وفرة فى الكائنات الحية مثل إفريقيا وأمريكا اللاتينية واستراليا وجنوب آسيا ـ فى هذه العصر أفاد هذا النوع من التصنيف ـ أفاد تلك العلوم فائدة كبيرة وأدى إلى الاسهام فى تطورها، نظرا لكثرة الموجودات فى كل يوم.

وقد كانت التصانيف العلمية مفصلة جدا وتضم آلاف المفردات وأدق التفاصيل طالما كانت هناك إمكانية للتقسيم. واستفادت هذه التصانيف العلمية استفادة كبيرة من قواعد التقسيم المنطقى التى ترسخت كما أسلفنا فى علم المنطق. هذه القواعد كانت مفيدة ومناسبة للتصانيف العلمية لأن النوع الوحيد من العلاقة التى كان يُحتاجُ إليه هو التقسيم، أى التكثير من أعلى إلى أسفل ـ أى العلاقة الرتبية Hierarchical ـ علاقة الجنس ـ النوع، أو العام الخاص.

وقد تأثرت تلك التصانيف بتلك القواعد حتى لقد عد التصنيف أحيانا مرادفا للتقسيم. أما عن علاقة هذا النوع من التصنيف بالتصنيف الببليوجرافى فسوف نتناولها عند دراسة تاريخ التصنيف.

٤ ـ التصنيف الببليوجرافى Bibliographic (al)

هذا النوع من التصنيف مقابل للنوع السابق ويقصد به تصنيف الكتب والمكتبات خاصة. وقد أطلق على هذا النوع ـ إلى جانب: التصنيف الببليوجرافى مسميات أخرى ارتبطت بتطور أو آخر. ومن هذه المسميات:

تصنيف الكتب	Book classification
تصنيف المكتبات	Library "
التصنيف المكتبى	Bibliothecal "
التصنيف لأغراض التوثيق	Classification for Documentation
التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات	Classification for Informafion Retrieval

ولعل السبب فى أن التصنيف كان يسمى فى البداية تصنيف الكتب والمكتبات أن هذا التصنيف حينما نشأ كان الغلبة والسيادة للكتاب كوحدة ببليوجرافية، ولم تكن الأشكال الببليوجرافية الأخرى قد احتلت مكانتها فى عالم النشر والبحث، فلما أراد علماء المكتبات أن يميزوا بين هذا النوع من التصانيف والتصانيف الفلسفية والعلمية التى كانت سائدة ربطوه بالكتاب على اعتبار أنه الوحدة الببليوجرافية المقبولة آنذاك.

وحينما دخلت كلمة توثيق إلى مجالنا، وذلك للتعبير عن الأشكال الجديدة من المواد غير الكتب، دخلت الكلمة أيضا إلى التصنيف، فسمى: التصنيف لأغراض التوثيق: Classification for Documentation.

وأخيرا استخدم لفظ التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، وذلك بعد أن دخل لفظ استرجاع المعلومات إلى المجال. وكان أول من استعمل: استرجاع المعلومات كالفن مورز فهو الذى أعطانا أقدم تعريف لهذا المصطلح، حيث عرفه (سنة ١٩٥٠) بأنه: بحث واسترجاع المعلومات مخصصة حسب موضوعاتها». وقد استخدمته عنوانا لكتابى: التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، حيث استخدمت التسمية الأحدث فى ذلك الوقت(٥٨).

كذلك استخدمت جماعة البحث فى التصنيف فى بريطانيا المصطلح فى عنوان التقرير المهم الذى أصدرته فى ختام المرحلة الأولى من مراحل بحثها فى التصنيف(٥٩).

٥ ـ نظرية التصنيف Classification Theory

نظرية التصنيف هى المنهج الذى وضعه علماء التصنيف لكى تبنى على أساسه وتقوم أنظمة التصنيف. وحينما ظهر التصنيف العشرى لديوى فى طبعته الأولى سنة ١٨٧٦ لم تكن هناك نظرية للتصنيف. ولذلك يمكن القول إن نظم التصنيف بدأت أولا، ثم جاءت بعد ذلك نظرية التصنيف. ويطلق على نظرية التصنيف أيضا علم التصنيف فى مقابل فن التصنيف أو التصنيف العملى Classifiying وحينما ظهر

التصنيف العشرى انقسم العلماء بشأنه بين مؤيد ومعارض. وكان من أبرز نقاده عند ظهوره تشارلز كتر الذى ركز نقده لديوى على قضيتين رئيسيتين هما:

١ ـ الترتيب.

٢ ـ الرمز

ويتعلق الترتيب بترتيب الموضوعات فى جداول التصنيف. وقد دلَّلَ كتر على أن الترتيب فى جداول ديوى غير علمى سواء فى مرتبة الأقسام الرئيسية أو فى التفاصيل بعد ذلك. كما أثبت كتر أن عدد الرموز غير كاف فهى تقتصر على عشرة، وذلك لأن ديوى اختار الرمز العشرى ومن ثم فقد أقحم فيه الموضوعات، وهذا يؤثر بدوره على ترتيب الموضوعات. والذى يهمنا الآن هو أن هذه الانتقادات وغيرها قد أفضت إلى ظهور نظرية التصنيف. وكان أول كتاب يتناول هذه النظرية هو كتاب ريتشاردسون Classification: tleoritical and practical والذى ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٠١. وقد بنى كتر نظاما جديدا للتصنيف بسبب عدم رضاه عن تصنيف ديوى وكذلك بنى ريتشاردسون نظاما استخدم فى المكتبة التى كان يعمل بها، وهى مكتبة جامعة برنستون. ولكن كلا من النظامين لم يستمرا، فقد مات كتر قبل أن يتم تصنيفه فمات معه. وأما نظاما ريتشاردسون فلم يطبع فى نسخ للتداول، وإنما اقتصر استخدامه على جامعة برنستون فقط.

ظهرت نظرية التصنيف إذن، وتركزت حول الأجزاء الرئيسية أو المكونات الرئيسية لنظام التصنيف، وهى:

١ ـ الجداول (أو القوائم) Schedules. وهى الموضوعات. وهذه الجداول هى المكون الرئيسى لنظام التصنيف. ولكنها لايمكن أن تعمل دون إضافتين رئيسيين:

(أ) الرمز: Notation.

(ب) الكشاف: Index.

وهما المكونان الآخران لنظام التصنيف. ويكون المكون الرئيسى الثانى إذن هو:

٢ ـ الرمز، وهو الأرقام التى تعطى للموضوعات لكل تثبت التسلسل وتكون

كلمة الدخل فى الفهرس المصنف، وترتب الرفوف على أساسها وتكون حلقة الوصل بين الفهرس المصنف، وغيره من الفهارس، وبين الرفوف، أى يستخدم كرقم طلب Call number. والمكون الثالث هو:

٣ ـ الكشاف الموضوعى الألفبائى Alphabeticd subject index: وهو ترتيب هجائى للموضوعات التى وردت فى الجداول وذلك لتسهيل الوصول إلى أماكن تلك الموضوعات فى الجداول، فهو جزء مكمل للجداول. كما أنه يجمع الموضوعات التى وردت فى أماكن متباعدة فى الجداول؛ أى وجهات النظر فى معالجة الموضوع الواحد.

وقد أضاف العلماء حديثا مكونا رابعا ليس من أجزاء نظام التصنيف ولكن وجوده ضرورى لاستمرار النظام وهو:

٤ ـ الهيئة أو المؤسسة أو التنظيم organization. ذلك أن نظام التصنيف لكى يستمر فلابد من وجود هيئة أو مؤسسة أو تنظيم يشرف على النظام ويدعمه ماليا وإداريا وبشريا، وإلا كان النظام عرضة للتوقف، فالأفراد يموتون، وأعمالهم عرضة للتوقف، وقد ثبت هذا من تاريخ الأنظمة، فالخطط التى وجدت مؤسسات ترعاها انتشرت واستمرت لأنها تقوم بتحديثها، وتلك التى لم تجد مثل هذه المؤسسة توقفت وماتت.

وقد تبلور البحث فى نظرية التصنيف، حول المكونات أو الأجزاء الرئيسية للتصنيف، وهى الجداول، والرمز، والكشاف. وكان المبحث الأول، وهو الجداول، هو الأكثر جدلية، وكان مدعاة لظهور مدارس للتصنيف تختلف آراؤها حول هذا الموضوع، وهى:

١ ـ المدرسة التقليدية أو العلمية، وكان أبرز رجالها كتر وريتشاروسون وسايرز وبليس. وقد سيطرت على البحث والكتابة فى نظرية التصنيف طوال المرحلة الأولى من مراحل تطور نظرية التصنيف. وقد ربطت هذه المدرسة ربطا وثيقا بين تصنيف المعرفة متمثلا فى التصانيف الفلسفية والعلمية التى ظهرت على مر العصور وبين تصنيف الكتب، وسيطرت آراؤها مدة طويلة حتى أخذت تخلى مكانها

تدريجيا لآراء المدرسة الحديثة التى طور أفكارها ونظرياتها عالم التصنيف الهندى رانجاناثان.

وقد استفادت المدرسة التقليدية استفادة كبيرة من الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف ومن قواعد التقسيم المنطقى. وقد أعطينا فى هذا الفصل عددا لابأس به من المصطلحات التى تمثل مصطلحات الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف، والتى تعد مصطلحات أساسية فى الموضوع.

ولم يقتصر البحث بطبيعة الحال حول الجداول وحول تنظيم الموضوعات ولكنه تجاوزها إلى الرمز والكشاف، ولكن الجزء المتعلق بالجداول كان أكثر الأجزاء إثارة للجدل(٦٠).

٢ ـ المدرسة العملية، وهى التى طور أفكارها وندهام هلم فى مقالات كتبها سنة ١٩١١/ ١٩١٢(٦١). وقد تحمس له فيما بعد بعض علماء التصنيف وخاصة سافيج، ومتكالف، وفيليبس(٦٢).

وقد جاءت آراء المدرسة العملية مغايرة تماما لآراء المدرسة العلمية. ويرى هلم أن تصنيف الكتب وسيلة لغاية عملية هى ترتيب آحاد الكتب على الرفوف. أما تنظيم المعرفة فقد وضع لعرض آخر يختلف عن ذلك تماما هو تنظيم أفكارنا عن الأشياء فى حين يعنى تصنيف الكتب بالتجميع الآلى للكتب فى أقسام. ولذلك يعتقد هلم أن تصنيف الكتب ينبغى أن يبنى على الكتب نفسها لا على تقسيمات فلسفية نظرية. ولذلك انتقد هلم تصانيف المعرفة والتصانيف الفلسفية لأنها تسجل فى قوائمها تفاصيل أو مصطلحات قد لا يظهر عنها إنتاج فكرى مستقل على هيئة الكتاب أو المقال.

السند الأدبى

وقد تبلورت آراء هام فى نظرية السند الأدبى Literary warrant وهو يعنى عنده أمرين:

(أ) أن تصنيف الكتب ينبغى أن يعتمد على مجموعة من الكتب وليس على

تصنيف مجرد للمعرفة، فلا يسجل فى قوائم التصنيف إلا تلك الرؤوس التى يسندها إنتاج فكرى، أى تلك التى ظهر عنها وحدات فكرية مستقلة على هيئة الكتاب أو المقال، إلخ. وعلى ذلك فإن أية تفاصيل قد تكون موجودة فى المادة الموضوعية، ولكن لم تظهر عنها وحدات فكرية مستقلة، ليس لها فى نظر هام مكان فى خطة التصنيف.

(ب) تجاوز هلم هذا المفهوم البسيط للسند الأدبى إلى مفهوم أعقد، فهو يرى ضرورة تسجيل «تجميعات المعرفة» aggregates of Knowledge التى تظهر فى الانتاج الفكرى. فلو أن هناك إنتاجا فكريا ـ كتاب عن الصوت والضوء والحرارة معا، أو عن الصوت والكهرباء والضوء معا، أو عن الصوت والمغناطيسية والكهرباء معا، لوجب فى نظر هلم أن تسجل هذه التجميعات فى رؤوس تتضمنها كلها خطة التصنيف (٦٣).

٣ ـ المدرسة الحديثة: يعزى ظهور هذه المدرسة إلى عالم المكتبات وعالم التصنيف الهندى شيالى رامريتا رانجاناثان:

S. R. Ranganathan

الذى وضع نظرية جديدة للتصنيف لا تعتمد على حصر موضوعات المعرفة البشرية وتوفير أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات المركبة كما تفعل الخطط الحاصرة من أمثال ديوى والكونجرس، ولكنها تعتمد على حصر العناصر التى تتألف منها الموضوعات. وعند التصنيف العملى يعاد ترتيب هذه العناصر باستخدام علامات الربط المناسبة. ومن ثم فإن عملية التصنيف العملى تتم فى كل مرة مع كل كتاب أو وثيقة.

التحليل الوجهى

والفكرة التى تمثل قلب نظريـة رانجاناثان هى فكرة التحليل الوجهى Facet analysis. ويعتمد إعداد نظام التصنيف وفق هذه النظرية على تكوين الأوجه، ثم حصر البؤرات، ثم ترتيب هذه البؤرات فيما بينها، ثم ترتيب الأوجه حسب صيغة

المقولات الخمس الجوهرية: Five fundamental categories (ش م ط ن ز PMEST) وقد أشرنا إليها عند معالجة فكرة المقولة فى التراث التصنيفى.

والوجه Facet هو مجموع البؤرات الناتجة عن تطبيق خاصة معينة من خصائص التقسيم. وعلى ذلك فإن وجه اللغة Language Facet فى خطة التصنيف يندرج تحته كل اللغات الموجودة بالعالم. والبؤرة Focus (جمعها Foci) هى إحدى هذه اللغات. فاللغة العربية بؤرة فى وجه اللغة فى قسم اللغات. والشعر العربى بؤرة فى وجه الشكل الأدبى فى قسم الأدب وهكذا.

وقد بنى رانجاناثان تصنيف الكولون على أساس نظريته الجديدة وطبعه فى حياته ست طبعات (ط ٦ سنة ١٩٦٠) ثم صدرت الطبعة السابعة سنة ١٩٨٩. وقد لقيت أفكار رانجاناثان قبولا على المستوى الدولى وخاصة فى بريطانيا؛ حيث تأسست جماعة البحث فى التصنيف (تأسست ١٩٥٢). وسوف نعالج كل هذه القضايا والموضوعات فى حينها. أما هنا فقد اكتفينا بأهم المصطلحات الأساسية. وهناك بطبيعة الحال مصطلحات أخرى سوف ترد كجزء من هذه النظرية. وسوف نتناولها فى إطار تلك النظرية.

٤ ـ المدرسة العربية للتصنيف

حينما دخل علم المكتبات إلى الوطن العربى كان من القضايا الرئيسية التى شغلت المتخصصين فى هذا العلم توفير الركائز الفنية للازمة للعمل فى المكتبات العربية. وقد خصصت فصلا كاملا من فصول كتابنا هذا تناولت فيه تلك الركائز. والمدرسة العربية الإسلامية معنية بإعداد: الخطة العربية للتصنيف. وقد بدأت الجهود فى هذا الصدد منذ نيف وثلاثين سنة. وثم إعداد نظام مفصل لتصنيف الدين الإسلامى، ونظام لتصنيف التربية، كما تم إعداد الإطار العام لخطة التصنيف والذى ينبنى على النظرية الإسلامية فى تنظيم المعرفة.

وتتلخص هذه النظرية فى أن التصنيف انعكاس لفكر الأمة، وأن نظام التصنيف

الذى يصلح لأمة لايصلح لأمة أخرى خاصة إذا كانت تختلف عنها فى الشخصية الثقافية والفكرية. والفكر الإسلامى هو فكر دينى مشتق من الإسلام. ولذلك فإن خطة التصنيف العربية يجب أن تشتق من الفكر الإسلامى، وأن يصطبغ ترتيب الأقسام فى الخطة بالطريقة التى رتب المسلمون بها علومهم، وعلى هذا يجب أن تبدأ الخطة بعلوم الدين الإسلامى تليها اللغة العربية، فالجغرافيا والتاريخ، أى كل العلوم التى تكون شخصية الأمة وثقافتها وفكرها.

وكذلك فإن هذه الخطة يجب أن تنبع من احتياجات المكتبة العربية والإسلامية وأن ترتب العلوم والموضوعات المختلفة حسب درجة قربها أو بعدها من الثقافة الإسلامة والعربية. وقد جاءت الأفكار الرئيسية للخطة من دراسة تنظيم المعرفة عند المسلمين، ومن دراسة نظريات التصنيف ومدارسه ونظمه فى الخارج، وتم وضع الأساس الصحيح والمناسب لبناء الخطة، ثم أعد نظامان أحدهما لعلوم الدين الإسلامى، والآخر للتربية والتعليم كما سبق أن ذكرت(٦٤).

وفى ختام هذا العرض لمدارس التصنيف يمكن أن نقسم الخطط إلى ثلاثة أنواع: خطط حاصرة، وخطط شبه حاصرة، وخطط تحليلة تركيبة.

١ ـ الخطط الحاصرة Enumerative وتضم التصنيف العشرى لديوى وتصنيف مكتبة الكونجرس وتصنيف براون الموضوعى، وتصنيف كتر الواسع. وهى حاصرة بمعنى أنها تحصر أو تحاول أن تحصر كل موضوعات المعرفة البشرية فى قائمة واحدة وتعطى أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات المركبة.

٢ ـ الخطط شبه الحاصرة Semi - enumerative وليس هناك فى الحقيقة إلا خطة عامة وحيدة من هذا النوع هى التصنيف العشرى العالمى، فهى تعتمد على ديوى، وهو خطة حاصرة، ولكنها أدخلت درجة أكبر من طرق التحليل والتركيب لتخصيص موضوعات الوثائق، ولكنها لم تصل إلى درجة التحليل والتركيب الكاملين. ولذلك نقول إنها خطة شبه حاصرة.

٣ ـ الخطط التحليلية التركيبية Analytico - Synthetic . ولا يوجد من هذا النوع إلا خطة عامة وحيدة هى تصنيف الكولون. وهى لا تحصر أو تحاول أن تحصر

موضوعات المعرفة البشرية. وقد أشرنا إلى طريقة الكولون عند حديثنا عن التحليل الوجهى منذ قليل.

وهناك عدد كبير من أنظمة التصنيف المتخصصة التى تسير على مبدأ التحليل الوجهى[٦٥].

٦ ـ نظام التصنيف أو خطة التصنيف

Classification System or Scheme

هناك نوعان من نظم التصنيف، وهما:

(أ) التصنيف العام أو الشامل General or Comprehensive

(ب) والتصنيف المتخصص Special

التصنيف العام أو الشامل

التصنيف العام أو الشامل كما يعبر شيرا: «يشمل داخل حدوده كل الوجود. وهذا التصنيف العام أو الشامل هو الذى سعى إليه الفلاسفة، ولكن للأغراض العملية ينبغى رفض هذا المثل الأعلى، لأن العدد الكبير من الخصائص والأغراض الموجودة فى الكون تتطلب إما أن يبسط هذا النوع من التصنيف تبسيطا زائدا عن الحد أو أن يقوم على أسس متنوعة للتصنيف لدرجة أن يستحيل إلى شئ لايمكن العمل به»[٦٦].

هذا هو تعريف التصنيف العام أو الشامل عند الفلاسفة، فإذا انتقلنا إلى تصنيف المكتبات فسوف نجد أن التصنيف العام نظام يضم بين دفتيه جميع فروع أو موضوعات المعرفة البشرية، ويسجل هذه الموضوعات فى ترتيب علمى Systematic مقنن أو منطقى ـ أى بحيث يأتى الموضوع الواحد مسبوقا ومتبوعا بالموضوعات ذات الصلة الوثيقة به.

وقد ظهرت تسع خطط عامة مشهورة هى:

١ ـ التصنيف العشرى لديوى (ت د ع) أو (ت ع)

Dewey Decimal Classification (DDC) or (DC)

٢ ـ التصنيف العشرى العالمى (ت ع ع)

Universal Decimul Classification

٣ ـ التصنيف الواسع لكتر (ت و)

Expansive Classification of Cutter (E C)

٤ ـ التصنيف الموضوعى لبراون (ت م)

Subject Classification of Brown (S C)

٥ ـ تصنيف مكتبة الكونجرس (ت م ك)

Library of Congress Classification (L C)

٦ ـ التصنيف الببليوجرافى لبليس (ت ب)

Bibliographic Cassfication of Bliss (B C)

٧ ـ تصنيف الكولون لرانجاناثان (ت ك)

Colon Cassification of Ranganathan (C C)

٨ ـ تصنيف فريمونت رايدر الذى ظهر فى ١٩٦١.

International Classification

٩ ـ التصنيف الذى اقترحه روبر م. لوزى Rolert M. Losee فى ١٩٩٢.

وسوف نعود إلى دراسة الأنظمة فيما بعد.

التصانيف المتخصصة Special

إذا كان التصنيف العام أو الشامل يضم جميع فروع المعرفة البشرية، فإن التصنيف المتخصص يضم فرعا واحدا فقط من فروع المعرفة سواء كان علما كبيرا أم فرعا صغيرا. وقد ظهرت أنظمة متخصصة كثيرة بقدر ما هناك من تخصصات لأنها تسد حاجات المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات إلى أنظمة تتناسب مع موضوعاتها ومجموعاتها. ولذلك فإن هذه الأنظمة المتخصصة موجودة فى كل المجالات.

ولا يفوتنا هنا أن نسجل تعريف شيرا للتصنيف المتخصص[٦٧]:

«التصنيف المتخصص (الخاص) يتناول جزءا واحدا من الكون كله: علم ما، أو فن ما، أو موضوع متخصص ما، أو مجموعة مترابطة من الموضوعات. ولاتقتصر التصانيف المتخصصة على المواد التى تدخل فى مجالها فحسب، بل قد تقوم أيضا على أساس واحد أو عدد محدود من الخصائص الممكنة ـ علاقات المادة أو الوظيفة أو الأصل أو الزمان ـ المكان، إلخ. وبهذه الطريقة يمكن أن يكون هنالك كثرة من التصانيف ذات المشمول (الماصدق Extension) الواحد تتساوى فى ثباتها وفائدتها».

وسوف نعود إلى التصانيف المتخصصة فيما بعد كذلك.

٧ ـ التصنيف العملى Classifying

يمكن أن نطلق على التصنيف العملى: فن التصنيف فى مقابل علم التصنيف أى نظرية التصنيف، وهذا يجرنا إلى مصطلحين آخرين:

المصنف Classer or Classifier

وهو الشخص الذى يقوم بالتصنيف العملى اليومى فى المكتبة أو مركز المعلومات.

عالم التصنيف Classificatianist

وهو مصطلح اشتقه رانجاناثان من لفظ التصنيف حيث أضاف إليه اللاحقة ist التى تدل على العالم، كما فى Chemist، و economist، وgeologist، وهو يريد بذلك أن يجعل التصنيف علما كسائر العلوم. وسوف نرى فيما بعد أنه اشتق كثيرا من مصطلحاته أو استعارها من العلوم المختلفة، مثل لفظ Facet، Focus وغيرهما. وقد كان رانجاناثان نفسه أستاذا للرياضيات قبل أن يصبح عالم تصنيف ومكتبات.

وعالم التصنيف هو الشخص الذى يضع نظرية للتصنيف، مثل بليس ورانجاناثان وريتشاردسون، أو يسهم فى دراسة نظرية التصنيف، مثل سايرز ومعظم رجال المدرسة

البريطانية من أمثال ڤيكرى وملز وبالمر وفوسكت، وغيرهم. وقد أعد هؤلاء أيضا نظما متخصصة للتصنيف. وينفرد ملز بأنه وعدد من رفاقه فى جماعة تصنيف بليس Bliss Classification Group قد قاموا ويقومون باعداد الطبعة الجديدة من تصنيف بليس التى صدرت أول مجلداتها سنة ١٩٧٦[٦٨].

ويمكن أن نعرف التصنيف العملى الآن بأنه:

فن تعيين أرقام التصنيف لآحاد الكتب وفق خطة تصنيف معينة.

وهذا العمل هو هدف رئيسى من أهداف تعليم التصنيف فى معاهد المكتبات فى الدول المختلفة. وهو يختلف فى الخطط الحاصرة عنه فى الخطط التحليلية التركيبية[٦٩].

المراجع والهوامش

(١) إن المراجع الأساسية للمدرسة التقليدية هى كتابات أصحابها وهم بصفة أساسية كل من ريتشاردسون وبليس وسايرز، وكذلك الكتب الأخرى التى سارت على نهجهم، والكتب التى لا تشاركهم آراءهم ولكنها سجلت فى النظرية العامة للتصنيف ذلك الجزء الذى يتناول الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف. ونورد فيما يلى أهم مصادر دراسة هذه المدرسة، وقد اقتصرت على عدد محدود إيثارا للاختصار.

- Richardson, E. C. Classification: Theoritical and practical.

الطبعة الأولى لهذا العمل صدرت فى سنة ١٩٠١، والثالثة والأخيرة فى سنة ١٩٣٠ وقد أعيد طبعه ١٩٦٤.

- Bliss, Henry E. The Organizatiom of Knowledge and the System of the Sciences. - New york: Henry Holt, 1929.

أما كتابه التالى عن تنظيم المعرفة والمعالجة الموضوعية للكتب فهو يهتم بدراسة تصانيف الكتب من أمثال ديوى، كما أن معالجته للنظرية هنا مطبقة على نظرية تصنيف الكتب.

- Broadfield, A. The Philosophy of classificatiom.- London: Grafton, 1946.

الطبعة الأول منه صدرت سنة ١٩٢٦، والثانية ١٩٤٤، الثالثة ١٩٥٥ ثم نقحها هى نفسها سنة ١٩٥٩. ثم أصدر ملتباى طبعتين من الكتاب ١٩٦٧، ١٩٧٥.

- Phillips, H. Primer of Book Classification .- 5 th ed. - London:

Association of Assistant Librarins, 1961.

- چيسى شيرا، الفهرس المصنف: أسسه وتطبيقاته/ تأليف جيسى شيرا، مرجريت إيجان؛ ترجمة عبد الوهاب أبو النور - القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

(٢) هذه كلها أسماء لعلم واحد هو علم الكلام. وقد سمى علم الكلام لأن أشهر المسائل الكلامية فيه كانت حول القرآن الكريم: كلام الله، هل هو قديم أم مخلوق. وبسبب هذه القضية فتن المعتزلة الذين وصلوا إلى السلطة أيام الخليفة المأمون ثم المعتصم والواثق - فتنوا كبار علماء أهل السنة ومنهم الأمام أحمد ابن حنبل، حتى شاء الله لهذه الفتنة أن تنتهى أيام المتوكل، ثم انتصر أهل السنة على المعتزلة أيام أبى الحسن الأشعرى.

وسمى علم التوحيد باعتبار أن موضوعه هو توحيد الله عز وجل؛ وعلم أصول الدين، باعتبار أن العقائد هى الأصول، والفقه هو الفروع، وكذلك سمى علم العقائد لأن موضوعه هو العقائد الإيمانية.

(٣) درست هذه الموضوعات فى أكثر من مكان:

(أ) مقدمة التحقيق لكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم لمؤلفه أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة وقد اشتملت المقدمة على مبحث عن التصنيف عند العرب وكانت هذه أول مرة أدرس فيها هذا الموضوع.

(ب) فى كتاب التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى، وهو رسالة الدكتوراه التى نوقشت عام ١٩٧٢. والفصل الثالث فيها بصفة خاصة.

(جـ) فى البحث الذى قدمته للمؤتمر الثانى للاعداد الببليوجرافى للكتاب العربى، الذى عقد فى بغداد سنة ١٩٧٧. وهو بعنوان: الخطة العربية للتصنيف. الأسس والإطار العام. وقد صدر ضمن أعمال المؤتمر. كما وضعته مع غيره من الأبحاث التى نوقشت فى مؤتمرى الرياض وبغداد فى كتاب الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين، ١٩٧٨. وأخير صدر فى كتاب مستقل سنة ١٩٩٦ بعنوان: الخطة العربية للتصنيف: الإطار

العام للخطة ونظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة.

(٤) سوف تنشر كتب هذه السلسلة تباعا إن شاء الله بعد هذا الكتاب، وسوف ندرس فيها الموضوعات المشار إليها كلا فى موضعه.

(٥) الجوهرى، إسماعيل بن حماد. ـ تاج اللغة وصحاح العربية. ـ ط٣. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤. مادة صنف.

(٦) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. ـ بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٨٨. مادة صنف.

(٧) الفيروز آبادى، أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد. القاموس المحيط. ـ بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٢هـ. مادة صنف.

(٨) الزبيدى، محمد مرتضى الحسينى. تاج العروس من جواهر القاموس. ـ الكويت: وزارة الاعلام، ١٩٨٤. مادة صنف.

(٩) محمد فريد وجدى. دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين. ـ ط٣. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٧ ـ ١٩٧١. مادة صنف.

(١٠) يوسف خياط. الصحاح فى اللغة والعلوم/ إعداد يوسف خياط، نديم مرعشلى. ـ بيروت: دار الحضارة العربية، ١٩٧٤. ص ٦٣٢.

(١١) وهو الباب السادس من المقدمة: فى العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال. طبعة المطبعة التجارية، ص ص ٤٢٩ ـ ٥٨٨. وقد جاء تصنيفه للعلوم فى الفصل الرابع على وجه الاجمال، ثم تناولها بالتفصيل فى الفصول التالية. وانظر دراستنا لتصنيف ابن خلدون فى:... نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة، مصدر سابق، ص فى ٨٨ ـ ٩٣. وقد سبق الفهرست لابن النديم فى استخدام لفظ أصناف العلوم فقد جاء فى مقدمته: هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والبربر والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها فى أصناف العلوم وأخبار مصنفيها...

(١٢) سورة الذاريات: ٤٩

(١٣) سورة يس: ٣٦.

(١٤) من ذلك مثلا ماورد فى المصدر التالى. محمد على الصابونى ـ صفوة التفاسير. ـ القاهرة: دار التراث، ١٩٩٣. ـ، جـ٣، ص٣٠٠، وغيرها. وقد ورد اللفظ سواء بالمفرد أو المثنى أو الجمع فى ستة عشر سورة من القرآن الكريم؛ وهى: الحج: ٥؛ الشعراء: ٧؛ لقمان: ١٠؛ ق: ٧؛ الرحمن: ٥٢؛ هود: ٤٠؛ الرعد: ٣؛ المؤمنون: ٢٧؛ الذاريات: ٤٩؛ الأنعام: ١٤٣؛ يس: ٣٦؛ الزمر: ٦؛ ص: ٥٨؛ الزخرف: ١٢؛ طه: ٣؛ الواقعة: ٧. هكذا فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وقد أعطيت فى المتن مثالين فقط منعا للاطالة.

(١٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى/ ترتيب وتنظيم أ. ى. ونسنك. ـ استانبول: دار الدعوة، ١٩٨٦ ج٣. مادة صنف.

(١٦) التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى: دراسة فى منهج إعداد نظم التصنيف مع تطبيقه فى إعداد تصنيف للدين الإسلامى. ـ القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٣.

(١٧) السيوطى، عبد الرحمن بن أبى بكر. تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى/ تأليف عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى؛ تحقيق وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف. ـ ط٢. ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦. جـ١، ص٥٣؛ ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوى. علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح/ تأليف أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى؛ نشر وتصحيح وتعليق محمد راغب الطباخ. ـ حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣١م المقدمة، ص ٦.

(١٨) السيوطى، المصدر السابق، جـ١، ص٤٠؛ على رجب الصالحى. رسالة تحقيق مبادئ العلوم الأحد عشر. ـ القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٧. ص ص ٩١ ـ ٩٣؛ محمد أبو زهو. الحديث والمحدثون، ص ٤٨٩.

(١٩) طاش كبرى زادة، عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم/ تأليف عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى؛ تحقيق كامل كامل بكرى، عبد الوهاب أبو النور. ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨. ٤جـ. جـ١، ص٣٢٤.

(٢٠) فلاسفة الإسلام هو لفظ أطلق على الفلاسفة المسلمين من أتباع فلسفة يونان، وهم لايمثلون الفكر الإسلامى الحق. ومن أمثالهم الكندى والفارابى وابن سيناء وابن رشد. ولمزيد من التفصيل عن فلاسفة الإسلام، انظر كتابنا: ... تنظيم المعرفة: مصدر سابق، ص ٦٧ ـ ٧٦.

(٢١) طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة، نفس المصدر.

(22) Farradane, J. E. L. Fundamental fallacies amd new needs in classification In: Sayers Memorial volume. London: Library Association, 1961 pp. 120 - 132)

وقد كانت أول مرة كتب فيها فرادان عن هذه الفكرة سنة ١٩٥٠ فى مجلة:

Library Association Record

وتكفينا الاشارة الحالية.

(٢٣) من هذه المصادر: محمد أبو عليان. اللؤلؤ المنظوم فى مبادئ العلوم. ـ القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٩٠٧. ص ص ٩٤ ـ ٢٦٤. ومنها: التهانوى، محمد أعلى بن على المولوى. كشاف اصطلاحات الفنون. ـ كلكتا (الهند): الجمعية الأسيوية للنبغال، ١٨٦٢. ٢جـ. وللاطلاع على أفكارهم فى هذه المسائل يرجى الرجوع إلى: التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى، مصدر سابق، ص ص ٩٢ ـ ١٠٣. ولابأس هنا من أن أورد نموذجا لما ذكروه فى هذا الصدد:

«ومن تقاليد المتقدمين أنهم كانوا يذكرون فى أوائل كتبهم ما يسمونه بالرؤوس الثمانية، وهى مقدمات الشروع فى العلم، وهى: الغرض، والمنفعة، والسمة (الاسم) والمؤلف، ومن أى علم هو ليطلب مايليق به، وفى أى مرتبة هو ليقدم عما يجب

ويتأخر عما يجب، والقسمة (أقسامه) ليطلب فى كل باب مايليق به، والأنحاء التعليمية، وهى التكثير من فوق، والتحليل وهو عكسه، والتحديد أى فعل الحد، والبرهان أى الطريق إلى الوقوف على الحق والعمل به». التصنيف الببليوجرافى، ص ٩٣ ـ ٩٤. نقلا عن كل من التهانوى والصالحى ومحمد أبو عليان.

(٢٤) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. ... نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة، مصدر سابق، الفصل الثانى وهو عن الأقسام الرئيسية، وخاصة ص ص ٢٦ ـ ٣٠.

(٢٥) من المعروف أن الفهرست لابن النديم هو أول ببليوجرافية عربية شاملة وقد رتب مادته كما ذكرت على عشر مقالات جمع تحتها كل المؤلفات والترجمات.

(٢٦) لمزيد من التفصيل، انظر: الفهرس المصنف، ص ص ٦٣ ـ ٦٤.

(٢٧) الفهرس المصنف، ص ٦٥ ـ ٦٦. ويطلق المناطقة العرب على لفظ Categories: أحد لفظين: مقولات، وكما سبق أن ذكرت؛ وقاطيغور ياس وهو المقابل الصوتى أو النقل الحرفى للكلمة اليونانية. والمقابلات العربية التى ذكرتها لمقولات أرسطو العشر مأخوذة من كتب المناطقة العرب ونقلها منهم أيضا مفاتيح العلوم للخوارزمى، كما نقلتها المصادر الفلسفية الحديثة (العربية). وفيما يلى تعريف المقولات:

لفظ «فاطيغورياس» أى محمولات، أو بتعريف أدق المقولات، معنى كلى يمكن أن يدخل محمولا فى قضية. والمقولات عشر، وهى قسمة شاملة كاملة تقابل جميع الأجوبة تقال عن جميع الأسئلة التى يمكن أن تثار بصدد شئ ما. وهذه الأسئلة عشرة يجاب عنها بعشرة محمولات.

وقد قارنت المقابلات العربية لمقولات أرسطو، والتى استمددتها من كتب المناطقة العرب، وكتب مصطلحات العلوم، وخاصة مفاتيح الخوارزمى، قارنتها بالمقابلات التى وردت فى المعاجم الحديثة للفلسفة، وخاصة يوسف كرم، ووجدتها متشابهة مع بعض الاختلاف. وفى القائمة التى سجلتها فى المتن، سجلت مقابلات الخوارزمى

ويوسف كرم، وإذا اختلفا سجلت الخوارزمى، وأضفت يوسف كرم بين قوسين.

(٢٨) شيرا، مصدر سابق، ص ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٢٩) أبو النور: التصنيف الببليوجرافى، مصدر سابق، ص ص ١٣ ـ ١٥.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٤٩.

(31) Grolier, Eric de. A study of genenal categories applicalle to classification and coding in documentation Paris: Unesco, 1962. p. 15 - 16.

(٣٢) شيرا، الفهرس المصنف، مصدر سابق، ٦٩.

(33) Sayers, W. C. B. Manual of Classification. - 2nd ed. - 1944. p 80.

(٣٤) المصدر السابق.

(٣٥) انظر للعلاقة بين اللغة ولغات التكشيف: التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر تأليف راو ألورى، د. ألاسد يركب، چون بول؛ ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨.

الفصلان الثانى والثالث.

(٣٦) شيرا، مصدر سابق، ص ص ٧٠ ـ ٧٢.

شيرا، المصدر السابق

(37) Bliss, 1929 pp. 134 - 135' (38) Bliss, op. cit., p 132-3

(39) Phillips, primer of book classification. - 5 thed. - London: Association of Assistant Librarians, 1961. pp 13 - 14.

(40) IBID.

(41) IBID.

(42) Phillips, op. cit., p. 15.

(43) IBID.

(٤٤) ألورى، التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر، مصدر سابق، ص ص ١٩٢ ـ ١٩٧.

(٤٥) من المصادر مثلا:

(أ) شيرا، الفهرس المصنف، ص ص ٨٧ ـ ٨٨.

(ب) Phillips, op. cit., pp. 18 - 20.

(٤٦) شيرا، مصدر سابق، ص ٧٦؛ نقلا عن

Bliss, 1929, p 143.

(47) Needham. Organizing Knowledge in libraries. - 2 nd ed., 1974. p. 107.

(48) Sayers, Manual, 1944., p. 79.

(49) Phillips, primer, 1961., p. 9.

(٥٠) شيرا، مصدر سابق، ص ٧٧.

(٥١) المصدر السابق.

(52) Marcella, Rita. A new manual of classification/ by Rita Marcella, Newton. - London: 1994. p. 3.

(53) IBID.

(54) Phillips, primer, 1961, pp. 9 - 10.

(٥٥) يمكن أن نقارن هذا بما جاء فى كتب مبادئ العلوم وكتب موضوعات العلوم، مثلا فى إحصاء العلوم للفارابى، وعند صاحب مفتاح السعادة، فالرجا الرجوع إلى الجزء الخاص بالتصنيف عند المسلمين، وكذلك ما ذكرته عن الرؤوس الثانية والانحاء التعلمية فى هامش رقم (٢٣).

(56) Jevons, J. S. Principles of science, 1874. vol 2, p. 345. Cited in Phillips, op. cit., p 9 - 10.

(57) Marcella, 1994, p. 3.

(٥٨) التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات، ١٩٩٦. ص ٢٢. ولمعرفة التطورات

التى طرأت على أسماء علم المكتبات والمعلومات انظر دراستنا عن التوثيق والبحث التربوى فى كتابنا: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا. ص ص ٥٩ ـ ١٠٦.

(59) Classificatiom Research Group. "The need for a faceted classification as the basis of all methods of imformation retrieval". Library Association Record, vol. 57. No. 7. July 1955. pp. 262 - 268

(٦٠) أشرنا إلى بعض أهم مصادر دراسة المدرسة التقليدية فى هامش (١).

(61) Hulme, E.W. Principles of book classification. - London: Library Association, 1950.

وهذه إصدارة ثانية لمجموعة المقالات التى نشرها لأول مرة فى سنة ١٩١١/ ١٩١٢ فى.

Library Association Record

(٦٢) لعل أكثر المحمسين لآراء هلم ثلاثة: سافيج، متكالف، وفيليبس. وقد أشرت إلى كتاب فيليبس أكثر من مرة، وأشير الآن إلى عملى سافيج ومتكالف:

- Savage, ErnestA. Manual of book classification and display for public libraries. - London: Allin & Unwinn, 1949.

- Metcalfe, John. Information indexing and subject cataloging: Alphabetical, Coordinate, Mechanical. - New York: The scarecrow Press, 1957.

- Subject Classifying and indexing of libraries and literature. - New York: The Scarecrow Press, 1959.

وقد كان متكالف أشدهم حماسا لكايزر وهلم.

(٦٣) يقال دائما إن تصنيف مكتبة الكونجرس انعكاس لآراء هلم، حيث أن تصنيف مكتبة الكونجرس هو: تصنيف للكتب، بمعنى أن قد اشتق أقسامه

وتفريعاته من الكتب نفسها وليس من أى تصور نظرى للمعرفة، وإن كان قد تأثر بكتر واستمد منه. والحقيقة أن العكس هو الصحيح، فإن هانسون ومارتل اللذين أعدا تصنيف مكتبة الكنوجرس قد بدآ جهودهما عند انتقال المكتبة إلى مبناها الجديد سنة ١٨٩٥. أى أن أفكارهما عن تصنيف الكتب سبقت هلم كثيرا، حيث بدأ هلم كتابة مقالاته فى ١٩١١.

ويلاحظ أن المعنى الأول للسند الأدبى والمذكور فى فقرة (أ) أكثر فائدة من المعنى الثانى وتستفيد منه خطط التصنيف. فعلى سبيل المثال لايسجل التصنيف العشرى فى جداوله رأس موضوع جديدا إلا إذا كان يمثله عشرون كتابا على الأقل فى مكتبة الكونجرس.

(٦٤) أهم مصادر دراسة الخطة العربية للتصنيف فكرا وتطبيقا هى:

(أ) دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافى لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف. ـ القاهرة: كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٦٧. ـ رسالة الماجستير.

(ب) التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى. ـ القاهرة: كلية الآداب جامعة القاهرة. ١٩٧٢. رسالة الدكتوراة. وقد صدرت عن: دار الثقافة للطباعة النشر، ١٩٧٣.

(ج) الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين: الرياض وبغداد. ـ الرياض: دار العلوم، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

وهذا العمل يضم الأبحاث التى قدمت إلى مؤتمرى الإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى، وهى سبعة أبحاث.

(د) مستقبل الخطة العربية للتصنيف. وهو أحد الأعمال التى صدرت ضمن كتابنا: دراسات فى علوم المكتبات والتوثيق والببليوجرافيا. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦. ص ص ١٠٧ ـ ١٣٨.

وهناك مصادر أخرى ولكن نكتفى بالمصادر السابقة منعا للاطالة.

(٦٥) أعدت جماعة البحث فى التصنيف فى بريطانيا Classification Reserach Group أثناء المرحلة الثانية من عملها عددا كبيرا من نظم التصنيف المتخصصة؛ فعلى سبيل المثال أعد فيكرى تصنيفا لعلم التربة، وملز تصنيفا للادارة، وفوسكت تصنيفا للتربية، وباربارا كايل للعلوم الاجتماعة، وملز وكليفردون معا أعد تصنيفا لعلم الملاحة الجوية استخدم مشروع الأسليب كرا نفيلد، وأعدا مع غيره تصنيفا لعلم المكتبات والمعلومات، وكوتس للموسيقى. وهكذا وهكذا، الكثير. وانظر لبعض التفاصيل فى هذا: الفصل الأول من كتابنا: التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى. أما عن منهج التحليل الوجهى مفصلا، فانظره فى الفصل الثانى من الكتاب نفسه.

(٦٦) شيرا، الفهرس المصنف، ص ٧٧.

(٦٧) المصدر السابق، ص ٧٨.

(٦٨) حينما زرت لندن فى سنة ١٩٧٦، كتب حريصا على أن أحضر اجتماعا لجماعة البحث فى التصنيف. وقد رتب لى الأخ الصديق د. حشمت قاسم هذا الأمر وحضرت لهم اجتماعا فى جمعية المكتبات (البريطانية) وقد لقيت ملز بعد الاجتماع، وكان هو رئيس الجماعة فى ذلك الوقت بعد أن هجرها فيكرى. وقد أخبرنى أن أول مجلد من تصنيف بليس الجديد سوف يصدر فى أكتوبر سنة ١٩٧٦، وأعطانى نسخة من الإطار العام للتصنيف.. وقد صدرت عدة مجلدات من بليس ولكنه لم يتم إلى الآن.

(٦٩) انظر فى هذا كتابنا: التصنيف العملى والتكشيف. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

تم الكتاب الأول

بحمد الله